أكرم بركات

يسألونك عن القيامة



مجموعة يسألونك

بيت السراج
بيروت | لبنان

اسم الكتاب:	يسألونك عن القيامة
المؤلف:	الشيخ د. أكرم بركات
الناشر:	بيت السراج للثقافة والنشر
الطبعة الرابعة:	بيروت ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

يسألونك عن القيامة

الشيخ د. أكرم بركات

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة على منبر القائم عجل الله فرجه الشريف

قضايا تلامس حاجة الناس في الفكر والسلوك وتضيء على طريق سعادة الإنسان، وتوضّح برنامجها تناولها الشيخ د. أكرم بركات على منبر مسجد القائم عجل الله فرجه الشريف في الضاحية الجنوبيّة لبيروت ثمّ ألبسها ثوبَ الكلمات المكتوبة بين يديك عسى أن تكون محلاًّ للقبول.

المقدّمة



والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الشفيع الأكبر يوم الدين، محمّد وآله الطاهرين.

وأقبل شهر رمضان المبارك من جديد، ووقع اختياري على موضوع المعاد والقيامة ليكون حديثي عنه بين صلاتي الظهر والعصر في مسجد القائم عجّل الله فرجه الشريف، وما زاد اندفاعي نحو اختيار هذا العنوان هو أنّ ثلث حديث القرآن هو عن عالم الآخرة، وأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أراد في خطبته حول شهر رمضان أن نتذكّر بالصوم ذلك العالم، وذلك حينما قال في الحديث الوارد عنه: «**واذكروا بجوعكم وعطشكم جوع يوم القيامة وعطشه**»[1]، إضافةً إلى أنّ هذا الموضوع يقع في سلسلة

(١) الصدوق، محمّد، عيون أخبار الرضا عليه السلام، (لا، ط)، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٤هـ، ج١، ص ٢٦٥.

يسألونك التي صدر منها «**يسألونك عن اللّه**»، و«**يسألونك عن الأنبياء**»، و«**يسألونك عن الأئمّة**»، و«**يسألونك عن الوليّ**»، و«**يسألونك عن التقليد**»، و«**يسألونك عن القبر**»، لذا سمّيت هذا الكتاب الجامع لما ألقيته من محاضرات رمضانيّة حول القيامة: «**يسألونك عن القيامة**»، سائلاً اللّه تعالى القبول والرضا، وأن يبعثني اللّه تعالى بقلب سليم.

أكرم بركات

مسجد القائم عجّل الله فرجه الشريف –

بيروت

١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م

1

الدليل على العالم الآخر

هل يمكن أن تنتهي حياة الإنسان في هذه الدنيا بدون أن يكون هناك يومٌ فيه حساب وثواب وعقاب؟

يجيب العقل المؤمن باللّه تعالى وصفاته الكماليّة: كلّا، وألف كلّا، ولي على ذلك دليلان:

١ - دليل الحكمة

إنّ اللّه تعالى حكيم، لا يفعل عبثًا، ولا يعمل جزافًا، بل يضع كلّ شيء في موضعه المناسب ليحقّق هدفه المنشود.

فهل من حكمة اللّه تعالى أن يخلق الإنسان لأجل العيش في هذه الدنيا التي جلُّها تعب وعناء، بحيث لا يحصل الإنسان فيها على لذّة إلاّ بعد معاناة ومشقّة وجهد؟

مثال رقم (١): من الأمور التي يسعد الإنسان فيها أكل

الطعام. وهو ما قد يستغرق ١٠ دقائق أو ١٥ دقيقة أو ٢٠ دقيقة أو أكثر من ذلك بقليل، لكن كم يستغرق هذا الطعام الذي يأكله من تعب وجهد ومعاناة.

إنّ رغيف الخبز الذي أكله لم يوجد إلاّ بعد أن قام مزارع بفلح الأرض، وزرع البذر الذي احتاج منه عناية ليصبح نباتًا، ثمّ جاء موسم الحصاد، فقام بحصده، ثمّ بفرز حبّات القمح، وجاء دور الطحّان وطحن القمح، ثمّ جاء دور العجّان وعجنه، ثمّ أخذه الخبّاز وخبزه، ثمّ جمعت الأرغفة في أكياس، ثمّ وزِّعت في المحالّ إلى أن جاء صاحبنا المحبّ للطعام واشترى ربطة خبز. هذا كلّه في رغيف الخبز.

أمّا الطبق الذي كلّف جهدًا في شراء الحاجيات الأساسيّة له من السوق، فقد سبقت هذا الشراء رحلةٌ من التعب البشريّ أوصلت تلك الحاجيات إلى أمكنة التسويق، وبعدها وقفت زوجة ذلك الإنسان المسكينة حوالي ثلاث ساعات في المطبخ تحضِّر لزوجها الطعام.

وبعد كلّ هذه المعاناة يأكل الإنسان لمدّة دقائق معدودة،

ثمّ يتعب من الأكل؛ لأنّ الكميّة المفيدة لا بدّ أن تكون محدودة، وإلاّ قد يستدعي الإسراف في الطعام عيادة الطبيب الذي قد يحرمه ذلك الطعام مدّة مديدة.

مثال رقم (٢): إن أراد الإنسان أنْ يصبح طبيبًا، فما هي رحلته لتحقيق أمنيّته؟ إنّه يدخل إلى المدرسة صغيراً، يستيقظ في الصباح الباكر، ويستيقظ معه أهله، وتبدأ المعاناة من الروضة إلى الابتدائيّ إلى المرحلة المتوسطة، إلى المرحلة الثانوية، إلى الجامعة، يدرس، ويدرس، ويكبر وهو يدرس، ويعيش أزمة الامتحان، وينتظر بفارغ الصبر نتيجته، ثمّ يدرس في الجامعة، سنوات سبعاً يدرس فيها الطبّ العامّ، ثمّ تأتي سنوات التخصّص، ممّا يعني أنّه سيبقى حوالي خمساً وعشرين سنة ليتخرَّج بعدها طبيبًا مختصًّا.

وبعد ربع قرن من الدراسة يبدأ بالبحث عن العمل الذي لا يصل به إلى الراحة، بل يشغله في النهار، ويوقظه في الليل، ويوقفه مدّة طويلة في غرفة العمليّات ووو...

هكذا هي الحياة الدنيا، لا تُنال فيها لذّة إلاّ بعد تعب وجهد ومعاناة.

فلو افترضنا أنّ الحياة تقتصر على هذه الدنيا، بدون أن يكون هناك عالم آخر، فهل ينسجم ذلك مع حكمة اللّه تعالى؟ كلاّ، ثمّ كلاّ.

ومع أنّ العقل هو المجيب، فقد أرشد القرآن الكريم إلى هذا الدليل بقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1]، وبقوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[2]. وقد ذكر القرآن الكريم أنّ العالم الآخر الذي خلق اللّه الإنسان لأجل أن يصل إليه يختلف عن عالم الدنيا، بل يعاكسه، فالناس في هذه الدنيا في تعب غالب، بينما حال الناس في الجنّة ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾[3] أي لا يتعبون.

(١) سورة المؤمنون، الآية ١١٥.
(٢) سورة ال عمران، الآية ١٩١.
(٣) سورة الحجر، الآية ٤٨.

٢- دليل العدالة

كم قرأنا في التاريخ، وعايشنا في الحاضر قصصًا عن مضطَهدين، عاشوا الظلم والمأساة بأحلك الصور، ثمّ ماتوا في أقبية السجون، أو ذبحًا بالسيوف، أو صلبًا على الأعواد، بدون أن يتمكّنوا أو يتمكّن غيرهم من الاقتصاص من الظالمين! وفي الوقت نفسه قرأنا وعايشنا حالات الكثير من الظالمين عاشوا على فراش وثير، وماتوا في قصور فارهة، وشُيِّعوا بمواكب فخمة، بدون أن يصل إليهم لهيب ظلمهم للآخرين!

فلو أنّ الحياة اقتصرت على هذه الدنيا، ولم يكن هناك آخرة، فهل تتواءم هذه المشاهد مع عدالة الله تعالى؟!!! كلّا، ثمّ كلّا، لا بدّ من يوم يُنتَصر فيه للمظلومين، ويعاقَب فيه الظالمون.

إنّ العقل هو المجيب، إلّا أنّ القرآن أيضًا أيَّد جواب العقل بقوله: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا

يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[1].

---

(١) سورة الجاثية، الآيتان ٢١-٢٢.



شبهات حول المعاد

أشار القرآن الكريم إلى بعض ما طرحه منكرو المعاد من شبهات، نعرض منها:

١- هل يمكن إعادة المعدوم؟

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾[١].

إنّ معنى ضللنا في الأرض أي استُهلكنا فيها بحيث تحوَّلت أجسامنا إلى تراب، ففي تفسير التبيان: «**كل شيء غلب عليه غيره حتّى يغيب فيه، فقد ضلّ فيه**»[٢].

---

(١) سورة السجدة، الآيتان ١٠-١١.

(٢) الطوسيّ، محمّد، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، (لا، م)، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤٠٩هـ، ج٨، ص ٢٩٨.

فهم يتساءلون مستنكرين: بأنّنا إذا استُهلكنا وتحوّلنا ترابًا فإنّنا نصبح عدمًا[١]، وعليه فالمعاد المطروح ليس عودةً لنا؛ لأنّنا استُهلكنا في التراب، بل هو نوع من الخلق الجديد، ومن الواضح أنّه ليس من الحكمة أن يُحاسَب خلق جديد عن خلق قديم.

وقد أجاب اللّٰه تعالى عن هذه الشبهة بقوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ...﴾[٢].

وفي هذا إشارة إلى أنّ حقيقة الإنسان ليستْ جسدَه الذي يُستهلك في التراب، بل هو النفس التي تحرِّك ذلك الجسد، فإنّ معنى تَوَفِّي الشيء هو قبضه بشكل كامل، يُقال: استوفى الدَّين إذا قبضه على كماله[٣].

والذي يقبضه ويتوفاه ملك الموت، بحسب القرآن الكريم، هو النفس وليس الجسد، يقول اللّٰه تعالى: ﴿ ٱللَّهُ

(١) العدم هنا بالمعنى العرفي لا بالمعنى الفلسفي.

(٢) سورة السجدة، الآية ١١.

(٣) الطوسيّ، محمّد، التبيان في تفسير القرآن، ج٨، ص ٢٩٩.

﴿يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾[١].

وحينما نقارن بين قوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾ وقوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ﴾ نعلم أنّ حقيقة الإنسان هي نفسه، أمّا جسده فهو لباس للنفس يتغيّر كلّ بضع سنوات فـ «عصام» الذي عمره اثنان وعشرون عامًا، وبحسب ما أثبت الطبّ الحديث، تكون أكثر خلايا جسده من حين ولادته، قد تغيّرت عدّة مرّات[٢]، ومع ذلك يبقى عصامٌ عصامًا، وهذا يعني أنّ حقيقة «عصام» ليست جسده المتغيِّر، بل هي نفسه، وهذه النفس لا تُعدم حين الموت، بل تبقى موجودة إلى يوم القيامة الذي يأتي اللّه عزَّ وجلَّ فيه بذلك التراب المتحوِّل من جسد الإنسان، ويشكِّله جسدًا يعيد تلك النفس إليه؛ ليحاسب يوم القيامة.

---

(١) سورة الزمر، الآية ٤٢.

(٢) CARLSON. BM. principles of Pregeneration elservier 2007. p152.

٢- هل اللّٰه قادر على إحياء الموتى؟

وبعبارة أخرى إنّ وقوع أيّ أمر مشروط بقدرة الفاعل عليه، فهل اللّه تعالى قادر على إعادة الإنسان وإحيائه يوم القيامة؟

في مقام الجواب عن هذه الشبهة دعا القرآن الكريم إلى تأمّل قدرة اللّه تعالى في ما هو أعظم من ذلك، وفي هذا الإطار قال تعالى:

- ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1].
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[2].
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

عند التأمّل في الشبهة السابقة يُلاحظ أنّها انطلقت

(١) سورة الإسراء، الآية ٥١.
(٢) سورة الروم، الآية ٢٧.
(٣) سورة الأحقاف، الآية ٣٣.

من استبعاد أمرٍ يرى الإنسان صعوبته، لكنّه لا يدخل في دائرة المستحيل، وإلاّ لكان في الكتاب العزيز جواب آخر نقرؤه في الحوار الوارد بين إبليس ونبيّ اللّه عيسى عليه السلام بحسب رواية الإمام الصادق عليه السلام، إذ فيها: «**قال إبليس: يا عيسى، هل يقدر ربُّك أن يدخل الأرض في بيضة والبيضة كهيئتها؟ فقال عليه السلام: إنّ الله تعالى لا يوصف بعجز، والذي قلت لا يكون**»[1]. أي أنّ ذلك مستحيل في ذاته، لايمكن تحقّقه، وهذا ما لا يُسأل عن قدرة اللّه فيه، إذ قدرته عزّ وجلّ تتحقّق فعليًّا في الأمور الممكنة في حدِّ ذاتها، فالعجز ليس في الفاعل، بل هو في القابل، أمّا ما نحن فيه من إعادة الموتى يوم القيامة، فهو أمر ممكن في حدِّ ذاته، لذا كانت الإجابة القرآنيّة عن استبعاده بأنّه ﴿أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾[2].

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ط٢، بيروت، مؤسّسة الوفاء، ١٩٨٣م، ج٤، ص ٢٧١.

(٢) سورة الروم، الآية ٢٧.

إصرار الكافرين على إنكار المعاد

رغـم ضعف شبهاتهم طـرح الـقـرآن الـكـريـم أسلوب الكافرين في تأكيدهم لعدم وجود بعث بعد الإحياء في قوله تعالـى:

١- ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

٢- ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[2].

فالملاحظ فـي الآيـة الأولـى أنّـهـم يُقسمون على عدم بعث اللّه للأموات من دون إعطاء أيّ دليل، إنّما يحاولون من خلال القَسَم التأثير النفسيّ في الآخرين انطلاقًا من استبعاد حصول ذلك.

وفي الآية الثانية يؤكّدون أنّ الحياة محصورة بهذه الدنيا فقط حيث يموت الأسلاف، ويحيا الأخلاف المولودون جديدًا،

(١) سورة النحل، الآية ٣٨.

(٢) سورة الجاثية، الآية ٢٤.

وأيضًا من دون إبداء أيّ دليل على ذلك، بل يقتصرون في كلامهم على ظنّهم بأنّ المُهلك الوحيد للإنسان هو الدهر، وهو اسم لمدّة العالَم من مبدأ وجوده إلى انقضائه ويعبَّر به أيضًا عن المدّة الكثيرة[١]، فهم في إفادتهم لا يعتقدون أنّ شيئًا يفسد الإنسان ويستهلكه في التراب إلاّ مرور مدّة طويلة عليه، وبعدها لا بعث ولا حياة من جديد.

ولأنّ ادعاءهم هذا قائم على استبعادٍ ظنّيّ للبعث طرح القرآن الكريم ما يرفع هذا الاستبعاد في آيات عديدة منها:

١- خروج النبات من الأرض

قال تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[٢].

---

(١) الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط٥، بيروت، الأعلمي، ١٩٨٣م، ج١٨، ص ١٨٤.

(٢) سورة الروم، الآية ٥٠.

٢- قصّة أهل الكهف

قال اللّه تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ... وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ... وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾[١].

٣- قصّة الذي مرّ على قرية

قال اللّه تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ

(١) سورة الكهف، الآيات ٩-٢٥.

عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

إنّها قصّة رجل، قد يكون نبيًّا، خرج من داره قاصدًا مكانًا بعيدًا عن قريته بدليل حمله الطعام والشراب، وفي طريقه مرّ بقرية خَرِبة أُبيد أهلها، وعظامهم الرميمة بمرأىً من ذلك العبد الصالح، فهاله ما شاهده، فاستعظم أمرين إكبارًا لقدرة اللّه تعالى، لا استبعادًا لهما:

الأوّل: الإحياء بعد طول المدّة،

الثاني: رجوع الأجزاء إلى صورتها الأولى بعد عروض التغيّرات عليها.

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٩.

فأراد اللّه تعالى أن يجيبه جوابًا عمليًّا عن كلا الأمرين: أمّا عن طول المدّة، فأماته اللّه مئة عام، ثمّ أحياه، وكان موته في الطرف الأوّل من النهار، وبعثه في الطرف الأخير منه، لذلك حينما سأله اللّه تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[١]، قال تعالى له: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾[٢].

ثمّ أعطاه اللّه تعالى دليلاً على ذلك يتعلّق بالأمر الثاني، وهو استعظامه لرجوع الأجزاء إلى صورتها بعد تحوُّلها عن ما هي عليه، فأمر اللّه عزّ وجلّ أن ينظر إلى طعامه وشرابه وحماره، فإذا به يرى حماره وقد بَلِيَ وتفتّت وصار رميمًا، بينما طعامه وشرابه لم يتغيَّر، وليرى قدرة اللّه تعالى على إعادة المتغيِّر المتحوّل أراه كيفيّة إعادة صورة الحمار إلى ما كانت عليه، وبذلك جعله اللّه تعالى علامة للناس على قدرته عزَّ وجلَّ لبعث الناس وإحيائهم يوم القيامة[٣].

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٩.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٩.
(٣) أنظر الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ص ٣٦٥-٣٦٦.

3

نهاية العالم

تبدأ نهاية العالم بما عبَّر عنه القرآن الكريم بـ «**نفخ الصور**»، قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾[1].

في هذه الآيات مفردات ينبغي الإضاءة على معانيها، وهي:

١- **النفخ**، ويراد منه لغةً: «**نفخ الريح في الشيء**»[2].

٢- **الصُّور**، وهو يُطلق في لغة العرب على القرن المجوَّف الذي يُنفخ فيه كالبوق.

---

(١) سور الزمر، الآية ٦٨.

(٢) الراغب الأصفهانيّ، الحسين، المفردات، ط٢، (لا، م)، دفتر نشر الكتاب، ١٤٠٤هـ، ص ٨١٦.

ومن الواضح أنّ التعبير بالنفخ والبوق هو لتقريب فكرةِ ما يحدث، فالصُّور ليس بوقًا عاديًّا كالأبواق التي نعرفها، وإلاّ فكيف يصل النفخ فيه إلى كلِّ العالم في اللحظة نفسها، مع العلم أنّ سرعة الأمواج الصوتيّة بطيئة لا تتجاوز ٣٦٠ مترًا في الثانية، في حين أنّ سرعة الضوء تبلغ ٣٠٠ ألف كلم في الثانية، أي أكثر بمليون مرّة من سرعة الصوت[١]. وعليه فالصُّور هو أداة يصعب فهم حقيقتها، إلاّ أنّه يمكن مقاربة تلك الحقيقة من خلال ما ورد من نصوص تفسيريّة للقرآن الكريم، كالحديث الوارد عن النبيّ ﷺ: «**الصُّور قرن من نور فيه أثقاب على عدد أرواح العباد**»[٢]. وتعريف الصُّور بأنّه من نور يوضّح أنّ النفخ فيه ليس من قبيل الأمواج الصوتيّة الاعتياديّة، بل هو أعظم وأعظم.

---

(1) Fox. Tony. Essex Journal (2003) Essex Anch and History. page 12 - 16.

(٢) البحرانيّ، هاشم، البرهان في تفسير القرآن، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، (لا، ط)،قم، (لا،ن)، (لا، ت)، ج٤، ص ٧٣١. (في الكتاب أنقاب، بدل أثقاب).

وقد يتساءل البعض عن وجه الحكمة في إحداث النفختين، فلمَ لا يكون الإهلاك بشكل مباشر بدون نفخ؟ وكذلك الإحياء؟ وعن هذا التساؤل يجيب الشيخ الطوسيّ: **«ووجه الحكمة في ذلك أنّه علامة جعلها الله ليعلم بها العقلاء آخر أمرهم في دار التكليف... فشبّه بما يتعارفونه من بوق الرحيل والنزول، ولا يتصوَّر ذلك للنفس بأحسن من هذه الطريقة»**[1].

وذكر البعض أنّ الصُّور جمع صورة كالصّوف جمع صوفة، وحالها حال سُورة تجمع على سُوَر وسُوْر، وعليه يُراد من النَّفخ في الصُّور هو النَّفخ في كلّ من له صورة في الدنيا[2].

(١) الطوسيّ، محمّد، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، (لا، م)، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤٠٩هـ، ج٩، ص ٤٦.

(٢) أنظر: المفيد، محمّد، المسائل العكبرية، تحقيق علي أكبر الإلهي الخرساني، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ. ص ٦٨. الشيرازيّ، صدر الدين، أسرار الآيات، (لا، ط)، (لا، م)، انجمن، ١٤٠٢هـ، ص ١٩٦. المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ط١، (لا، م)، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٧هـ، ج٦، ص ٢٤١.

لكن ما يبعد هذا المعنى هو التعبير بـ «نُفِخَ فِيهِ»، ولو أريد هذا المعنى لكان التعبير: نُفخ فيها.

٣- **الصَّعق**، وهو فُسِّر بعدّة معانٍ، منها:

٣-١- الفزع، وذلك تماشيًا مع آية أخرى وردت في الموضوع نفسه تعبِّر بالفزع بدل الصعق، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ...﴾[1].

٣-٢- الغشية من الفزع دون أن تصل إلى حدِّ الموت، وبهذا المعنى ورد قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[2].

٣-٣- الموت[3]، ويمكن أن يكون المراد هو الموت بسبب الغشية من الفزع، كما ورد عن حال همَّام حين سمع خطبة المتّقين من أمير المؤمنين عليه السلام: «**فصعق همّام**

---

(١) سورة النمل، الآية ٨٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

(٣) ذكر هذه المعاني الثلاثة: الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق أحمد الحسيني، ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ١٤٠٣هـ، ج٥، ص ٢٠١-٢٠٢.

صعقةً كانت نفسه فيها»[١]، والمهمّ هنا، ليس المعنى اللغويّ بقدر ما هو معرفة حال المُصعَقين بالنفخ الأوّل، فمن الواضح بحسب النصوص الإسلاميّة أنّهم يكونون في حالة فقدان لأيّ شعور، ويمكن التعبير عن هذه الحالة بالفناء، لكن ليس بمعنى العدم، بل بمعنى السُّبات التامّ وفقدان أيّ إحساس أو ما شاكل، وهذا المعنى ورد في حديث للإمام الصادق عليه السلام حينما سئل: «أفيتلاشى الرّوح بعد خروجه عن قالبه أو هو باق؟ قال عليه السلام: **بل هو باق إلى وقت يُنفخ في الصُّور، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى، فلا حسّ ولا محسوس، ثمّ أعيدت الأشياء، كما بدأها مدبّرها، وذلك أربعمائة سنة تسبت فيها الخلق، وذلك بين النفختين»**[٢].

ومن المحتمل أنّ هذا الصّعق هو المراد من الموت الثاني الوارد في قوله تعالى عن لسان المذنبين يوم القيامة:

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة للإمام عليّ (ع)، ط١، قم، دار الذخائر، ١٤١٢هـ، ج٢، ص ١٦٥.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص ٢١٧.

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾[١]، وذلك بأن يكون الموت الأوّل هو ما نعرفه من الموت في هذه الحياة الدنيا، والموت الثاني هو الصّعق عند نفخ الصور الأوّل، والحياة الأولى بعد الموت الأوّل هي حياة البرزخ، والحياة الثانية بعد الموت الثاني هي حياة القيامة.

المُصعَقون في النفخ الأوّل

إنّ الآية المتقدّمة أفادت أن من يُصعَق في النفخ الأوّل هم جميع مَنْ في السموات ومَنْ في الأرض إلاّ مَنْ شاء اللّه، وهذا العنوان يشمل:

- الملائكة
- الجنّ
- الناس الأحياء في الدنيا، وقد وصف اللّه تعالى حالهم حين النفخ الأوّل بقوله عزّ وجلّ: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ٤٩ فَلَا

---

(١) سورة غافر، الآية ١١.

﴿يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾[١].

في تفسير القمّي: «**ذلك في آخر الزمان، يُصاح فيهم صيحة، وهم في أسواقهم يتخاصمون، فيموتون كلّهم في مكانهم، لا يرجع أحد منهم إلى منزله ولا يوصي بوصية**»[٢]، وفي الحديث: «**تقوم الساعة والرَّجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه، فما يطويانه حتّى تقوم، والرَّجل يرفع أكلته إلى فيه، فما تصل إلى فيه حتّى تقوم...**»[٣].

- **الناس الأموات**، فهم بحسب الروايات ثلاثة أقسام

١- من يمحض الإيمان، فمصيره النعيم.

٢ - من يمحض الكفر، فمصيره العذاب.

٣ - من لا يمحض إيمانًا، ولا كفرًا، فإنّهم يُلْهَى عنهم، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّما يُسأل في قبره مَنْ محض**

(١) سورة يس، الآيتان ٤٩-٥٠.

(٢) القمّي، علي، تفسير القمّي، تحقيق طيب الموسوي الجزائري، (لا، ط)، النجف، مطبعة النجف، ١٣٨٧هـ، ج٢، ص ٢١٥.

(٣) الطبرسيّ، الفضل، تفسير مجمع البيان، ط١، بيروت، مؤسّسة الأعلميّ، (لا، ت)، ج٨، ص ٢٧٩.

الإيمان محضًا، ومن مَحض الكفر محضًا، وأمّا ما سوى ذلك، فيُلهى عنهم»[١].

وقد ذكرنا في كتابنا «**نداء الرحيل**»[٢] أنّ معنى يُلهى عنهم ليس فقدانهم للإحساس في عالم البرزخ، بل تركهم من دون مساءلة، ومن دون إخراج للروح إلى جنّة البرزخ أو عذابه، وهذا المعنى يُستفاد من رواية صحيحة رواها ضريس الكناسيّ عن الإمام الباقر عليه السلام: وهي: قلت له: جُعلت فداك، ما حال الموحِّدين المقرّين بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولايتكم؟ فقال عليه السلام: «**أمَّا هؤلاء فإنَّهم في حفرهم لا يخرجون منها، فمن كان له عمل صالح، ولم يظهر منه عداوة، فإنّه يخدّ له خدًّا إلى الجنّة التي خلقها بالمغرب، فيدخل عليه الرَّوْح في حفرته إلى يوم**

(١) الكلينيّ، محمّد، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط٥، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣هـ.ش، ج٣، ص ٢٣٥.

(٢) أنظر: بركات، أكرم، نداء الرحيل، ط٨، بيروت، دار السراج، ٢٠١٣م، ص ١١٩.

القيامة، حتّى يلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيّئاته، فإمّا إلى الجنَّة وإمَّا إلى النار، فهؤلاء الموقوفون لأمر الله، وكذلك يفعل بالمستضعفين والبُله والأطفال وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحُلم...»[١].

والنتيجة هي أنّ جميع الأموات في عالم البرزخ ليسوا فاقدين للشعور، لذا يطالهم الصَّعق.

الأحياء بعد نفخ الصُّور

استثنت الآية السابقة مِن الذين يصعقون بعد النفخ الأوّل مَنْ عبَّرت عنهم بـ «**من شاء الله**» دون توضيح لهويّتهم. وقد اختلف المفسِّرون حول هذه الهويّة على أقوال، منها:

١- هم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل الذين يميتهم اللّه تعالى بعد ذلك، فعن أنس قال: تلا رسول اللّه ﷺ هذه الآية

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص٢٨٦.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[1] قالوا: يا رسول الله، مَنْ هؤلاء الذين استثنى الله؟ قال ﷺ: «**جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فإذا قبض الله أرواح الخلائق قال: يا ملك الموت، ... خُذْ نَفْس إسرافيل، فيأخذ نَفْس إسرافيل، فيقول: يا ملك الموت، مَنْ بقي؟ قال: فيقول: سبحانك ربي، تباركت وتعاليت ربِّي ذا الجلال والإكرام، بقي جبرائيل وميكائيل وملك الموت، فيقول: خذ نَفْس ميكائيل، فيأخذ نَفْس ميكائيل، فيقع كالطّود العظيم، فيقول: يا ملك الموت، من بقي؟ فيقول: تباركت ربي وتعاليت، بقي جبرائيل وملك الموت، فيقول: مت يا ملك الموت، فيموت. فيقول يا جبرئيل، من بقي؟ فيقول: تباركت ربّي وتعاليت ذا الجلال والإكرام، وجهك الباقي الدائم،**

(١) سورة الزمر، الآية ٦٨.

وجبرئيل الميّت الفاني. قال: **يا جبرئيل، لا بدَّ من الموت، فيخرّ ساجدًا، فيخفق بجناحيه، فيقول: سبحانك ربّي تباركت وتعاليت ذا الجلال والإكرام».**
ثمّ قال رسول اللّه ﷺ: «**فعند ذلك يموت جبرئيل، وهو آخر مَنْ يموت مِنْ خلق السماوات والأرض**»[١].

٢- هم هؤلاء الأربعة وحملة العرش[٢]. الذين قال اللّه عنهم: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾[٣].

٣- هم رضوان والحور ومالك والزبانية[٤].

٤- هم الشهداء، فعن النبيّ ﷺ أنّه سأل جبرائيل عن هذه الآية: من الذي لم يشأ اللّه أن يصعقهم؟ قال: «**هم الشهداء، متقلّدون أسيافهم حول العرش**»[٥].

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٧٩، ص ١٨٤-١٨٥.
(٢) أنظر: الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج١٧، ص ٢٨٦.
(٣) سورة الحاقة، الآية ١٧.
(٤) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج١٧، ص ٢٨٦.
(٥) الطوسيّ، محمّد، التبيان، تحقيق أحمد قصير، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ط١، ١٤٠٩هـ.، ج ٨، ص ٤١٦.

وبما أنّ هذا الاستثناء هو كرامة من اللّه تعالى للباقين أحياء عند نفخ الصور؛ فإنّ هذه الكرامة لا بدّ أن تلحق من هم أفضل عند اللّه تعالى من الملائكة والحور والشهداء، من هنا أضيف إلى الأقوال السابقة الأنبياء والأوصياء.

ويرى بعض المفسِّرين، استنادًا إلى الروايات أنّ المستثنَيْن من الموت عند نفخ الصور يموتون بعد ذلك، ولا يبقى أحد حيًّا في هذا العالم سوى اللّه الحيّ الذي لا يموت[١].

ما الذي يحصل حين النّفخ الأوّل؟

الجواب هو في الرواية عن الإمام زين العابدين عليه السلام وهي: «**امّا النفخة الأولى، فإنّ الله جلّ جلاله يأمر إسرافيل، فيهبط إلى الدنيا ومعه الصور، وللصور رأس واحد وطرفان، وبين طرفَي كلّ رأس منهما ما بين السماء**

(١) الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير القرآن، ط٢، قم، مدرس الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، (لا، ت)، ج١٥، ص ١٤٨.

إلى الأرض، قال: فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصُّور قالوا: قد أذن الله تعالى في موت أهل الأرض، وفي موت أهل السماء، فيهبط إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بحضرة بيت المقدس ويستقبل القبلة، فإذا رآه أهل الأرض قالوا: قد أذن الله تعالى في موت أهل الأرض، فينفخ فيه نفخة فيخرج الصّوت من الطرف الذي يلي الأرض، فلا يبقى في الأرض ذو روح إلاّ صعق ومات. ثمّ ينفخ فيه نفخة أخرى، فيخرج الصوت من الطّرف الذي يلي السماء، فلا يبقى في السّماء ذو روح إلاّ صعق ومات إلاّ إسرافيل. قال: فيقول الله تعالى لإسرافيل: يا إسرافيل، مت، فيموت إسرافيل، فيمكثون في ذلك ما شاء الله تعالى، ثمّ يأمر الله تعالى السماوات فتمور، ويأمر الجبال فتسير، وهو قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ يعني تبسط وتتبدّل الأرض غير الأرض، يعني بأرضٍ لم تكتسب عليها الذنوب بارزة، ليس عليها جبال

ولا نبات، كما دحاها أوّل مـرّة، ويعيد عرشه على الماء كما كان أوّل مـرّة مستقلّاً بعظمته وقدرتـه، فعند ذلك ينادي الجبَّار جلّ جلاله بصوت من قبله جهوريّ يسمع أقطار السماوات والأرضين: لِمَن الملك اليوم، فلا يجيبه مجيب، فعند ذلك يقول الجبّار مجيبًا لنفسه: لله الواحد القهّار...»[1].

(١) القمّي، عليّ، تفسير القمّي، ج٢، ص ٢٥٣.

4

الكون بين النفختين

بيَّن القرآن الكريم مشاهد الانهيار الكونيّ بعد نفخ الصُّور الأوّل في آيات عديدة نعرض منها:

أ - معالم السماء

ذكر الكتاب العزيز أنّ السماء تستجيب وتنقاد لربّ العالمين في مشهد الانهيار الكونيّ بعد نفخ الصُّور الأوّل، قال اللّه تعالى في حديثه عن السماء في ذلك اليوم: ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾[١] أي كانت حقيقة وجديرة بأن تستمع وتطيع ربّها[٢].

(١) سورة الانشقاق، الآية ٢.

(٢) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج٢٠، ص ٢٤٢.

ويصف القرآن الكريم حقيقة ما يجري في السماوات بأمور تطرأ على السماء، هي:

١- **الانشقاق**، قال اللّه تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾[٢]، وقال عزّ وجلّ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾[٣]، والانفطار يعني، أيضًا، الانشقاق[٤].

وعن كيفيّة حصول هذا الانشقاق السماويّ قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾[٥]، أي قُلِعت عن شدّة التزاق، كقلع جلدة الرأس عن مكانها[٦].

٢- **الذوبان**، قال اللّه تعالى: ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ﴾[٧]، فُسّر المُهل بعكر الزيت، وبالصّفر المذاب، وبالجاري

---

(١) سورة الانشقاق، الآية١.
(٢) سورة الفرقان، الآية ٢٥.
(٣) سورة الانفطار، الآية١.
(٤) الطوسي، محمّد، التبيان، ج٤، ص ٨٨.
(٥) سورة التكوير، الآية ١١.
(٦) الطوسي، محمّد، التبيان، ج١٠، ص ٢٨٣.
(٧) سورة المعارج، الآية ٨.

بغلظة وعكرة على رفق، من أمهله إمهالاً[(١)].

٣- **الضعف**، قال اللّه تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾[(٢)] أي ضعيفة[(٣)].

٤- **الطيّ**، قال اللّه تعالى: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ﴾[(٤)]، والسّجلّ هو ما يُكتب عليه، فالمراد أنّ اللّه تعالى يطوي السّماء، ويكون حاله كالصّحيفة المكتوب فيها الكتاب - أي الألفاظ والمعاني التي يكون لها تحقُّق من خلال الخطوط والنقوش- فحينما تُطوى الصحيفة يغيب الكتاب بالطيّ، ولا يظهر منه عينٌ، ولا أثر، وكذلك حال السماء تنطوي بالقدرة الإلهيّة، فتغيب عن غير اللّه تعالى. كما يغيب الكتاب في السّجلّ[(٥)].

---

(١) الطوسي، محمّد، التبيان، ج١٠، ص ١١٣.
(٢) سورة الحاقة، الآية ١٦.
(٣) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج١٩، ص ٣٩٨.
(٤) سورة الأنبياء، الآية ١٠٤.
(٥) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج١٤، ص ٣٢٨.

ولم يكتفِ القرآن الكريم بالتوصيف السابق لأحداث السماء بعد النفخ الأوّل، بل ذكر ما يحدث لأجرامها ضمن العناوين الآتية:

١- **انتشار الكواكب**، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾[١]

أي تفرّقت بتركها مواضعها التي طالما ركزت فيها، وكأنّ الكواكب لآلئ منظومة قُطِع سلكها، فانتثرت وتفرَّقت[٢].

ومع أنّ الكواكب تعني النجوم المتلألئة[٣] إلاّ أنّ القرآن الكريم خصَّ النجوم بعنوانها في أحداث ما بعد نفخ الصور، وهو ما يظهر من الآتي.

٢- **سقوط النجوم**، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾[٤]، ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾[٥].

(١) سورة الانفطار، الآية ٢.
(٢) الطباطبائي، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج٢٠، ص ٢٢٣.
(٣) الشيرازيّ، ناصر، الأمثل، ج١٩، ص ٤٧١.
(٤) سورة التكوير، الآية ٢.
(٥) سورة المرسلات، الآية ٨.

وفي معنى الانكدار يُحتمل أمران:

الأوّل: السقوط، فانكدار الطائر من الهواء يعني انقضاضه نحو الأرض، وعليه فانكدرت أي سقطت.

الثاني: ذهاب الضوء، فيكون الانكدار من الكدورة، وهي السواد، فمعنى انكدار الشمس أي تغيّر ضوئها[١]، وهذا ما يتواءم مع الآية الثانية ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾[٢]، أي مُحيت آثارها، وذهب نورها[٣].

٣- تكوير الشمس، قال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾[٤]، إنّ التكوير هو اللّفّ على طريقة التدوير والتطويق كلفّ العِمامة على الرأس، ولعلّ المراد بتكوير الشمس انظلام جرمها على نحو الإحاطة من باب المجاز في التعبير[٥].

---

(١) الطباطبائي، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج٢٠، ص ٢١٢. الشيرازي، ناصر، الأمثل، ج ١٩، ص ٤٤٦.

(٢) سورة المرسلات، الآية ٨.

(٣) الطوسيّ، محمّد، التبيان، ج١٠، ص ٢٢٥.

(٤) سورة التكوير، الآية ١.

(٥) الطباطبائي، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج٢٠، ص ٢١٣.

٤- خسوف القمر، قال اللّه تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾[١] ومعنى خسوف القمر أي زوال نوره[٢].

إنّ خلاصة ما تقدّم ممّا يجري في السماء هو أنّ كواكبها ونجومها ستنفرط، وسيذهب نورها حيث سيحلّ الظلام الدامس على الأرض.

ب- معالم الأرض

تحدّث القرآن الكريم عن مشهد الأرض يوم القيامة بعنوان الأرض تارة، وبعنواني الجبال والبحار تارة أخرى، وهو ما نلاحظه في الآتي.

١- تبدّل الأرض

يصف القرآن الكريم الأرض كما وصف السماء بأنّها تستجيب لإرادة اللّه وتنقاد إليه طائعةً، قال تعالى في حديثه عن الأرض: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[٣]، أي كانت حقيقةً وجديرة

---

(١) سورة القيامة، الآيتان ٧-٨.

(٢) الطباطبائي، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج٢٠، ص ١٠٣.

(٣) سورة الانشقاق، الآية ٢.

بأن تستمع وتطيع ربّها[١].

وفي إطار هذه الإطاعة للّه تعالى تتبدّل الأرض بحيث تكون هي، وليست هي، كما كانت عليه، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾[٢]. وعن تفصيل هذا التبدُّل يطرح القرآن الكريم العناوين الآتية:

١-١- تزلزل الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا﴾[٤]، والرجّ هو تحريك الشيء تحريكًا شديدًا، وهو ما يشير إلى زلزلتها. وقوله رجًّا بالتنكير، أي رجًّا لا يوصف[٥].

١-٢- دكّ الأرض، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا﴾[٦].

الدكّ هو الدقّ الشديد[٧]، والدقّ هو كسر الشيء وتبديله

---

(١) الطباطبائي، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج٢٠، ص ٢٤٢.
(٢) سورة إبراهيم، الآية ٤٨.
(٣) سورة الحجّ، الآية١.
(٤) سورة الواقعة، الآية ٤.
(٥) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج١٩، ص ١١٤.
(٦) سورة الفجر، الآية ٢١.
(٧) الطباطبائي، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج٢٠، ص ٢٨٣.

إلى أجزاء صغار، لذا تسمّى الأرض الليّنة السهلة بالدكّ، وبهذا المعنى أُطلق الدّكان على المحل السويّ الخالي من الارتفاعات، وأُطلقت الدّكة على المكان السويّ المهيّأ للجلوس[١].

والخلاصة أنّ الأرض تُدكّ ويتفتت كلّ ما عليها، قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾[٢].

١-٣- مدّ الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾[٣]، والظاهر أنّ المراد به اتساعها[٤]، فاللّه تعالى سيمدّ الأرض يوم القيامة لتسع حشر الخلائق.

٢- تلاشي الجبال، قال تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾[٥] والبسّ هو الفتّ الذي يحصل بتحويل الجسم إلى أجزاء صغار تتلاشى كالدقيق، وقد فُسّر البسّ بالتسيير وسيأتي[٦].

---

(١) الشيرازيّ، ناصر، الأمثل، ج٢٠، ص ١٩٣.
(٢) سورة الحاقة، الآية ١٤.
(٣) سورة الانشقاق، الآية ٣.
(٤) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج٢٠، ص ٢٤٢.
(٥) سورة الواقعة، الآيتان ٥-٦.
(٦) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج١٩، ص ١١٦.

وفي معنى هذا التلاشي يصف اللّه تعالى حال الجبال يوم القيامة بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾[١]، والمراد من العهن الصوف أو الصوف ذو الألوان المختلفة لاختلاف ألوان الجبال، والمنفوش من النفش، وهو نشر الصوف بندفٍ ونحوه، فالتعبير بالعهن المنفوش يشير إلى تلاشي الجبال على اختلاف ألوانها بزلزلة الساعة[٢].

وللدّلالة على هذا المعنى قال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[٣]، فالجبال التي كانت تُرى حقائق ذوات كينونة قويّة لا تحرّكها العواصف تتبدّل بالتسيير إلى سراب باطل لا حقيقة له، وللإشارة إلى المعنى نفسه قال تعالى: ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾[٤] أي رملاً سائلاً متناثرًا، فالمهيل من هال الرمل أي حُرّك أسفله فسال أعلاه[٥].

---

(١) سورة القارعة، الآية ٥.
(٢) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج٢٠، ص ٣٤٨.
(٣) سورة النبأ، الآية ٢٠.
(٤) سورة المزمل، الآية ١٤.
(٥) الطوسيّ، محمّد، التبيان، ج١٠، ص ٦٦٦.

٣- انفجار البحار، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[١]، قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[٢]، يوجد احتمالان لمعنى هاتين الآيتين:

الأوّل: أنّ معنى فُجِّرت وسُجِّرت أي اتَّصلت بشكلٍ يختلف عمّا هي عليه اليوم، حيث ستفيض جميعها، وتتمزّق حدودها، وتصير بحرًا واحدًا بسبب الزلازل المرعبة، وتتحطَّم الجبال وتسقط في البحار[٣]. وهذا التفسير يعود لكون التفجير يأتي بمعنى الخرق، إذ سُمّي الفجر فجرًا لأنّ ضياءه يخرق الظلام، ولكون التسجير يأتي بمعنى الملء، فيكون معنى سُجِّرت أي امتلأت[٤].

الثاني: أنّ معناها الانفجار والاحتراق حيث تتحوّل مياه البحار والمحيطات إلى قطعة من نار لاهب؛ وذلك لأنّ الماء يتكوّن من عنصرين شديدي الاشتعال هما

(١) سورة الانفطار، الآية ٣.
(٢) سورة التكوير، الآية ٦.
(٣) الشيرازيّ، ناصر، الأمثل، ج١٩، ص ٤٧٩.
(٤) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج٢٠، ص ٢٢٣.

الأوكسجين والهيدروجين، فلو تحلّل الماء إلى عنصريه، فسيكفيه شــرارة صغيرة لجعله قطعة ملتهبة من النيران[١].

ما تقدّم هو خلاصة المشهد الكونيّ العامّ الذي تعقبه نفخة الإحياء التي يقوم الناس بعدها من قبورهم في يوم الفزع الأكبر.

(١) Levie، R; The electrolysis of water، Journal of electroamalytical chemistry 476، october 1999، page 92 - 93.

5

الفزع الأكبر

ويحيي اللّه تعالى إسرافيل، فينفخ نفخة الإحياء، فيخرج النّاس من قبورهم ليشاهد أعظم مفاجأة، لقد تغيّرت معالم الدنيا أرضًا وسماءً، وقتها يصيب الإنسان ما قد أطلق عليه القرآن الكريم: ﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾[1].

ورد في سيرة الرسول الأكرم ﷺ أنّه لما عاد ﷺ من تبوك إلى المدينة قدم عليه عمرو بن معدي كرب، فقال له النبيّ ﷺ: «**أسلم يا عمرو- يؤمنك من الفزع الأكبر**» فقال: يا محمّد، وما الفزع الأكبر؟ فإنّي لا أفزع! فقال ﷺ: «**يا عمرو، إنّه ليس ممّا تحسب وتظنّ، إنّ النّاس يصاح بهم**

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٠٣.

صيحة واحدة، فلا يبقى ميت إلاّ نُشر، ولا حيّ إلاّ مات، إلاّ ما شاء الله، ثمّ يُصاح بهم صيحة أخرى، فيُنشَر من مات، ويصفّون جميعًا، وتنشقّ السماء، وتهدّ الأرض، وتخرّ الجبال، وتزفر النيران، وترمي بمثل الجبال شررًا، فلا يبقى ذو روح إلاّ انخلع قلبه، وذكر ذنبه وشغل بنفسه، إلاّ ما شاء الله، فأين أنت -يا عمرو- من هذا؟ قال: ألا إنّي أسمع أمرًا عظيمًا، فآمن بالله ورسوله، وآمن معه من قومه ناس، ورجعوا إلى قومهم»[(١)].

آثار الفزع الأكبر

يصف القرآن الكريم فزع الناس يوم القيامة من خلال آثار عظيمة تعتريها، وهي ما عبَّرت عنه الآيات الآتية:

١- ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[(٢)]. والأجداث هي القبور.

---

(١) المفيد، محمّد، الإرشاد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ، ج١، ص١٥٨.

(٢) سورة القمر، الآية ٧.

٢- ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾[١]. أي يخرجون من القبور بسرعة، وكأنّهم يوفضون أي يسرعون إلى نُصُب أي علامات منصوبة. إنّه تعبير عجيب عن سرعة الحركة التي عبّر عنها بكلمتين سراعًا وهي جمع سريع، ويوفضون أي يتحرّكون بسرعة[٢].

٣- ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ﴾[٣]. الآزفة من أوصاف يوم القيامة، معناها القريبة الدانية. وكاظمين من الكظم، وهو شدّة الاغتمام، فكون القلوب لدى الحناجر كاظمين كناية عن غاية الخوف، وكأنّ القلوب تزول عن محلّها، وتبلغ الحناجر من شدّة الخوف[٤].

(١) سورة المعارج، الآيتان ٤٣-٤٤.
(٢) الطباطائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج٢٠، ص ٢٤.
(٣) سورة غافر، الآية ١٨.
(٤) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج١٧، ص ٣١٩.

الآمنون من الفزع الأكبر

في مقابل أولئك تحدّث القرآن الكريم عن أناس يخرجون من قبورهم آمنين بدون أن يؤثّر فيهم الفزع الأكبر، قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ۝١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾[2].

وهاتان الآيتان، إضافة إلى حديثهما عن الآمنين، فإنّهما تعرضتا لما ينجي من الفزع، وهذا ما نبحثه في الآتي.

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات ١٠١-١٠٣.

(٢) سورة النمل، الآية ٨٩.

المنجيات من الفزع الأكبر

إنّ الآمنين من الفزع الأكبر في الآيتين السابقتين هما مَن اتصفا بأحد أمرين هما:

١- ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾[1]، والحسنى مؤنث أحسن، وهي وصف لموصوف مقدّر، والتقدير: موعدة حسنى، لأنّ اللّه تعالى وعد أهل الإيمان في عدّة آيات، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾[2].

٢- ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾[3]، والكلام هو في تحديد هؤلاء الذين سبقت لهم من اللّه تعالى الحسنى، وجاؤوا بالحسنة، وهذا التحديد لم تحصره الأحاديث في مصداق واحد، بل ذكرت له مصاديق عديدة، وقد اعتبر العلامة الطباطبائيّ أنّ الأحاديث التي أشارت إلى مورد نزول

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٠١.
(٢) سورة التوبة، الآية ٧٢.
(٣) سورة النمل، الآية ٨٩.

الآيتين في أحد المصاديق هي من باب جريهما في ذلك المصداق، من دون أن ينحصر ذلك فيه، بل هما يجريان في مصاديق أخرى، وهو ما نلاحظه في العناوين التي سنذكرها على أنّها المنجيات من الفزع الأكبر، وهي:

١- ولاية أهل البيت عليهم السلام

وفي هذا العنوان وردة عدّة روايات منها:

في أمالي الصدوق عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا عليّ، أنت وشيعتك على الحوض، تسقون من أحببتم، وتمنعون من كرهتم، وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظلّ العرش، يفزع الناس ولا تفزعون، ويحزن الناس ولا تحزنون، فيكم نزلت هذه الآية:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾[1]، **وفيكم نزلت** ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾[2]»[3].

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٠١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٣.

(٣) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج١٤، ص ٣٣٦.

وفي أمالي الشيخ الطوسيّ بإسناده إلى عمّار بن موسى الساباطي قال: قال: أبو عبد اللّه عليه السلام: «**لا يقبل الله من العباد الأعمالَ الصالحة التي يعملونها إذا تولّوا الإمام الجائر الذي ليس من الله تعالى**»، فقال ابن أبي يعفور: أليس اللّه تعالى قال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾[1] فكيف لا ينفع العمل الصالح ممّن تولّى أئمّة الجور؟ قال له أبو عبد اللّه عليه السلام: «**وهل تدري ما الحسنة التي عناها الله تعالى في هذه الآية؟ هي والله معرفة الإمام وطاعتُه**»[2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام في حديثه عن يوم القيامة: «**رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **وآله وعليّ** عليه السلام **وشيعته على كثبان من المسك الأذفر على منابر من نور يحزن الناس ولا يحزنون، ويفزع الناس ولا يفزعون**، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿مَن

(١) سورة النمل، الآية ٨٩.

(٢) الطوسيّ، محمّد، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة، ط١، قم، دار الثقافة، ١٤١٤هـ، ص ٤١٧.

جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾[١] **فالحسنة والله ولاية عليّ»**[٢].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**الحسنة معرفة الولاية وحبُّنا أهل البيت**»[٣].

٢- من اجتنب شهوةً حرامًا

عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها من مخافة الله عزّ وجلّ، حرّم الله عليه النار، وآمنه من الفزع الأكبر**»[٤].

٣- إغاثة الملهوف

عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ لله عبادًا من خلقه تفزع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله**»[٥].

---

(١) سورة النمل، الآية ٨٩.
(٢) القميّ، علي، تفسير القمي، ج٢، ص ٧٧.
(٣) الكليني، محمّد، الكافي، ج١، ص ١٨٥.
(٤) الصدوق، محمّد، الأمالي، ص ٥١٤.
(٥) الديلميّ، الحسن، إرشاد القلوب، ط٢، قم، انتشارات الشريف الرضي، ١٤١٥هـ، ج١، ص ١٤٦.

وعن الصادق عليه السلام: **«من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده، فنفَّس كربته، وأعانه على نجاح حاجته كتب الله عزّ وجلّ له بذلك اثنتين وسبعين رحمة من الله يعجّل له منها، واحدة يصلح بها أمر معيشته، ويدَّخر له إحدى وسبعين رحمة لأفزاع يوم القيامة وأهواله»**[١].

من هنا دعا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام إلى اعتبار قضاء الحوائج مكرمة ينبغي التنافس إليها، فعنه صلى الله عليه وآله وسلم: **«تنافسوا إلى المكارم، وسارعوا إلى الغنائم، واعلموا أنّ حوائج الناس إليكم من نعمته تعالى عليكم»**[٢].

ورُوي في مرتبة قضاء الحوائج عن البرقيّ بسنده عن أبي عمّار قال: روينا: **«إنّ عابد بني إسرائيل كان إذا بلغ الغاية في العبادة صار مشّاءً في حوائج الناس»**[٣] أي إذا أصبح في طليعة العباد يختار من بين كلّ العبادات عبادة قضاء حوائج الناس.

---

(١) الكليني، محمّد، الكافي، ج٢، ص ١٩٩.
(٢) الديلميّ، الحسن، إرشاد القلوب، ج١، ص ١٣٨.
(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج١٤، ص ٥٠٨.

٤- إجلال ذي الشيبة المسلم

عن النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: **«من وقّر ذا شيبة في الإسلام آمنه الله عزّ وجلّ من فزع يوم القيامة»**(١).

وفي تعظيم ذي الشيبة ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: **«إنّ من عِظَم جلال الله إكرام ثلاثة: ١- ذي الشيبة في الإسلام، ٢- والإمام العادل، ٣- وحامل القرآن غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه»**(٢).

٥- كظم الغيظ

عن الإمام الباقر عليه السلام: **«من كظم غيظًا، وهو يقدر على إمضائه، حشا الله قلبه أمنًا وإيمانًا يوم القيامة»**(٣).

قصّتان معبِّرتان

١- كان الشيخ جعفر كاشف الغطاء في أصفهان، وقبل أن يبدأ صلاة الجماعة وزّع مبلغًا من المال على الفقراء،

(١) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٢، ص ٦٥٨.
(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٧٢، ص ١٣٧.
(٣) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٢، ص ١١٠.

وبين الصلاتين جاء سيِّد فقير لم يكن حاضرًا عند تقسيم المال، فقال للشيخ: أعطني من مال جدّي. قال الشيخ: لقد جئت متأخِّرًا، ولم يبقَ لديّ شيء أعطيك إيّاه، فغضب السيِّد، وبصق في وجه الشيخ، فقام الشيخ في المحراب، وأخذ طرف ردائه بيده، ودار بين صفوف المصلّين، وهو يقول: من كان يحبّ لحية الشيخ فليساعد السيِّد، فملأ الناس طرف رداء الشيخ بالمال، فأعطاه الشيخ للسيّد، ثمّ وقف يصلّي.

٢- كان مالك الأشتر القائد العامّ لقوّات أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ذات يوم مجتازًا في سوق الكوفة وعليه قميص خام، وعِمامة منه، فرآه بعض أهل السوق، فسخر من زيّه، فرماه ببندقة تهاونًا به، فمضى ولم يلتفت، فقيل للرجل: ويلك أتدري من رميت؟ فقال: لا، فقيل له: هذا مالك صاحب أمير المؤمنين عليه السلام، فارتعد الرجل، ومضى إليه ليعتذر إليه، فرآه دخل المسجد وهو قائم

يصلّي، فلما انفتل أكبّ الرجل على قدميه ليقبِّلهما، فقال له: ما هذا الأمر؟ فقال: أعتذر إليك ممّا صنعت، فقال: لا بأس عليك، فواللّه ما دخلت المسجد إلاّ لأستغفر لك[1].

٦- قراءة القدر سبعًا على قبر المؤمن

عن الإمام الرضا عليه السلام: **«من أتى قبر أخيه، ثمّ وضع يده على القبر، وقرأ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ سبع مرات أمن يوم الفزع الأكبر أو يوم الفزع»**[2].

٧- الموت في طريق مكّة أو في الحرمين

عن الإمام الصادق عليه السلام: **«من مات في طريق مكّة ذاهبًا أو جائيًا أمن من الفزع الأكبر يوم القيامة»**[3].

وعنه عليه السلام: **«من مات في أحد الحرمين بعثه اللّه من الآمنين»**[4].

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٤٢، ص ١٥٧.
(٢) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٣، ص ٢٢٩.
(٣) المصدر السابق، ج٤، ص ٢٦٣.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧، ص ٣٠٢.

٨- الدفن في حرم مكّة

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من دُفِن في الحرم (حرم مكّة) أمن من الفزع الأكبر**»[١].

٩- قراءة سور خاصّة من القرآن الكريم

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من قرأ «والعصر» في** نوافله بعثه اللّه يوم القيامة مشرقًا وجهه، ضاحكًا سنُّه، قريرًا عينه حتّى يدخل الجنّة»[٢]. وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**من قرأ سورة الدخان في فرائضه ونوافله بعثه اللّه من الآمنين يوم القيامة**»[٣].

(١) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٤، ص ٢٥٨.
(٢) الصدوق، محمّد، ثواب الأعمال، ط٢، قم، منشورات الشريف الرضي، ١٣٦٨هـ.ش، ص ١٢٥.
(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٨٢، ص ٣٦.

6

أشكال الناس يوم القيامة

قال الإمـام الـخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ في «**الأربعون حديثًا**»: «**إنّ الإنسان، كما أنّ له في هذه الدنيا صورة ملكيّة دنيويّة، خلقها الله تبارك وتعالى على كمال الحسن والجمال والتركيب البديع، والمتحيِّرة إزاءه عقول جميع الفلاسفة والعظماء، والذي لم يستطع علم معرفة الأعضاء والتشريح حتّى الآن أن يتعرّف على حاله بصورة صحيحة، وقد ميّزه الله تعالى من جميع المخلوقات بحسن التقويم وجودة جمال المنظر، كذلك فإنّ له- أي للإنسان- صورة وهيئة وشكلاً ملكوتيًّا غيبيًّا، وهذه الصورة تابعة لملكات النفس والخلقة الباطنيّة.**

وفي عالم ما بعد الموت- سواء في البرزخ أو القيامة-

إذا كانت خلقة الإنسان في الباطن والملكة والسريرة إنسانيّة، تكون الصورة الملكوتيّة له صورة إنسانيّة أيضًا. وأمّا إذا لم تكن ملكاته ملكات إنسانيّة، فصورته- في عالم ما بعد الموت- تكون غير إنسانيّة أيضًا، وهي تابعة لتلك السريرة والملكة. فمثلاً إذا غلبت على باطنه ملكة الشهوة والبهيميّة، وأصبح حكم مملكة الباطن حكم البهيمة، كانت صورة الإنسان الملكوتيّة على صورة إحدى البهائم التي تتلاءم وذلك الخلق. وإذا غلبت على باطنه وسريرته ملكة الغضب والسبعيّة، وكان حكم مملكة الباطن والسريرة حكمًا سبعيًّا، كانت صورته الغيبيّة الملكوتيّة صورة أحد السباع والبهائم. وإذا أصبح الوهم والشيطنة هما المَلَكة، وأصبحت للباطن والسريرة ملكات شيطانية كالخداع والتزوير والنميمة والغِيبة، تكون صورته الغيبيّة الملكوتيّة على صورة أحد الشياطين بما يتناسب وتلك الصورة.

ومن الممكن أحيانًا أن تتركّب الصورة الملكوتيّة من

ملكتين أو عدّة ملكات، وفي هذه الحالة لا تكون على صورة أيٍّ من الحيوانات، بل تتشكّل له صورة غريبة، هذه الصورة بهيئتها المرعبة المدهشة والسيئة المخيفة لن يكون لها مثيل في هذا العالم[١].

أشكال العُصاة يوم القيامة

ورد في تفسير مجمع البيان عن معاذ بن جبل أنّه سئل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن تفسير قوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[٢]، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**سألت عن عظيم من الأمر**»، ثمّ أرسل عينيه ثمّ قال:

«**تحشر عشرة أصناف من أمّتي أشتاتًا قد ميَّزهم الله تعالى من المسلمين وبدَّل صورهم:**

- **فبعضهم على صورة القردة،**
- **وبعضهم على صورة الخنازير،**

(١) الخمينيّ، روح الله، الأربعون حديثًا، (لا، ط)، بيروت، دار التعارف، ١٤١١هـ، ص ٣١.
(٢) سورة النبأ، الآية ١٨.

- وبعضهم مُنكَسون أرجلُهم من فوق ووجوههم من تحت، ثمّ يُسحبون عليها،
- وبعضهم عُمْيٌ يتردّدون،
- وبعضهم بُكْمٌ لا يعقِلون،
- وبعضهم يمضغون ألسنتهم يسيل القيح من أفواههم لعابًا يتقذّرهم أهل الجمْع،
- وبعضهم مقطّعة أيديهم وأرجلهم،
- وبعضهم مصلّبون على جذوع من نار،
- وبعضهم أشدّ نتنًا من الجيَف،

وبعضهم يلبسون جبابًا (جمع جُبة) سابغة من قَطِران لازقة بجلدوهم..

فأمّا الذين على صورة القردة: فالقُتّات من الناس[١]،

وأمّا الذين على صورة الخنازير فأهل السحت[٢]،

وأمّا المنكّسون على رؤوسهم فأكلة الرِّبا،

---

(١) أي النمّامون.

(٢) وهو المال الحرام، كأجرة المغنِّي، ومال القمار، وثمن الخمر...

والعمي: الجائرون في الحكم،

والصمّ والبكم: المعجبون بأعمالهم[(١)]،

والذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين خالفت أعمالُهم أقوالَهم،

والمقطّعة أيديهم وأرجلهم: الذين يؤذون الجيران،

والمصلَّبون على جذوع من نار، فالسّعاة بالناس إلى السلطان،

والذين هم أشدّ نتنًا من الجيف فالذين يتمتّعون بالشهوات واللذّات ويمنعون حقّ الله في أموالهم،

والذين يلبسون الجباب فأهل التجبّر والخيلاء»[(٢)].

إضافةً إلى هذه العناوين العشرة ذكرت روايات أخرى عدّة عناوين هي:

---

(١) سئل أبو الحسن عليه السلام عن العجب الذي يفسد العمل، فأجاب: العجب درجات، منها: أن يزيَّن للعبد سوء عمله فيراه حسنًا فيعجبه، ويحسب أنّه يحسن صنعًا، ومنها: أن يؤمن العبد بربِّه فيمنّ على الله، ولله عليه فيه المنّ (الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٢، ص ٣١٣).

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٧، ص٨٩.

صورة شارب الخمر

عن الرسول الأعظم ﷺ: «إنّ شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسودًّا وجهه، مزرقّةً عيناه مائلاً شدقيه، سائلاً لعابه، دالعًا لسانه من قفاه»[١]. وفي الحديث: «إنّ شارب الخمرِ يُحشر والكوز معلَّق في عنقه والقدح بيده، وهو أنتن من كلّ جيفة على وجه الأرض، يلعنه كلّ من يمرّ به من الخلائق»[٢].

صورة ذي اللسانين والوجهين

عنه ﷺ: «يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعًا لسانه في قفاه وآخر من قدّامه يلتهبان نارًا حتى يُلهبا جسده، ثمّ يُقال له: هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين يعرف بذلك يوم القيامة»[٣].

---

(١) القمّي، عباس، منازل الآخرة، تحقيق ياسين الموسوي، ط١، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٩هـ، ص ١٩٦.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) الصدوق، محمّد، الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، (لا، ط)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٣هـ، ص ٣٨.

صورة من ملأ عينه من امرأة حرامًا:

عنه ﷺ: **«من ملأ عينه من امرأةٍ حرامًا حشره الله يوم القيامة مسمَّرًا بمسامير من نار حتى يقضي الله تعالى بين الناس، ثمّ يُؤمر به إلى النار»**[1].

ب- أشكال المطيعين يوم القيامة

بعكس أولئك العُصاة، يخرج المؤمنون المطيعون من قبورهم بأجمل صورة، وأبهى حلّة، وهذا ما سطّرته العديد من الآيات القرآنيّة والأحاديث الشريفة، ذاكرة عناوين هؤلاء، نعرض منها:

١- شيعة عليّ عليه السلام

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: **«بينا رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال ﷺ: يخرج قوم من قبورهم وجوههم أشدّ بياضًا من القمر، عليهم نعال من نور شركها من ذهب، فيؤتون**

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٧، ص ٢١٥.

بنجائب من نور، عليها رحائل من نور، أزمَّتها سلاسل من ذهب، وركبها من زبرجد، فيركبون عليها حتى يصيروا أمام العرش، والناس يهتمون ويغتمون ويحزنون، وهم يأكلون ويشربون، فقال عليّ عليه السلام: من هم يا رسول اللّه؟ فقال: أولئك شيعتك، وأنت إمامهم»[١].

٢- المتّقون

في تفسير عليّ بن إبراهيم عن الإمام الصادق عليه السلام: سأل عليّ عليه السلام رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم عن تفسير قوله: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾[٢] قال صلى الله عليه وآله وسلم: «...يا عليّ، **أما والذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، إنّهم ليخرجون من قبورهم وبياض وجوههم كبياض الثلج، عليهم ثياب بياض كبياض اللبن، عليهم نعال الذّهب شراكها من لؤلؤ يتلألأ»**[٣].

(١) المصدر السابق، ص ١٨٥.
(٢) سورة مريم، الآية ٨٥.
(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٧، ص ١٧٢.

٣- الباكون من خشية الله

قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[١]،

فالآية تفيد أنّ الذين أحسنوا يعطيهم الله الموعدة الحسنى وزيادة، ولا يغشى وجوههم دخان أو غبار أسود، ولا تغشاهم ذلّة[٢]، وهذه الآية وإن كانت مطلقة تشمل جميع الذين أحسنوا، إلاّ أنّ بعض الروايات، أشارت إلى عنوان يعدّ مصداقًا واضحًا للآية، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما من شيء إلاّ وله كيل ووزن إلاّ الدموع، فإنّ القطرة منها تطفئ بحارًا من النار، فإذا اغرورقت العين بمائها لم يرهق وجهه قتر ولا ذلّة، فإذا فاضت حرّمه الله على النار، ولو أنّ باكيًا بكى في أمّة لرُحموا**»[٣].

---

(١) سورة يونس، الآية ٢٦.

(٢) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج١٠، ص ٤٣.

(٣) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٢، ص ٤٨٢.

٤- المتحابّون في اللّٰه

عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إنّ المتحابّين في اللّٰه يوم القيامة على منابر من نور، قد أضاء نور وجوههم ونور أجسادهم ونور منابرهم كلّ شيء حتّى يُعرفوا به، فيُقال: هؤلاء المتحابّون في اللّٰه»**[1].

(١) المصدر السابق، ص ١٢٥.



محكمة القيامة

قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾[١].

من أشدّ مواقف يوم القيامة هو وقوف العبد ليحاسَب بين يدي اللّه تعالى، فعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**أشدّ ساعات ابن آدم ثلاث ساعات:**

١- الساعة التي يعاين فيها ملك الموت،

٢- والساعة التي يقوم فيها من قبره،

٣- والساعة التي يقف فيها بين يدي اللّه تبارك وتعالى، فإمّا إلى الجنّة، وإمّا إلى النار»[٢].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ١.

(٢) الصدوق، محمّد، الخصال، ص ١١٩.

وقد ذكر القرآن الكريم أنَّ حساب اللّه تعالى يوم القيامة يقوم على عناصر تشكّل المحكمة الإلهيّة، وهي عبارة عن: الوثائق، والشهود، والميزان. وذلك على التفصيل الآتي.

أ- الوثائق

أكّد القرآن الكريم أنّ اللّه تعالى يكتب ويستنسخ ويسطّر كلّ ما يفعله الإنسان في حياته، قال تعالى: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾[١]، وقال عزّ وجلّ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾[٣]، ومستطر من مادة «سطر» بمعنى صفّ، لذا يقال: سطّر الكلمات على الورق أي صفّها عليها[٤].

وحينما يموت الإنسان تكون أعماله جميعها مسطّرة

(١) سورة يس، الآية ١٢.
(٢) سورة الجاثية، الآية ٢٩.
(٣) سورة القمر، الآية ٥٣.
(٤) الشيرازيّ، ناصر، الأمثل، ج١٧، ص ٣٤٧.

ومستنسخة في كتابه الخاصّ به، والذي تحدّث عنه القرآن الكريم في العديد من آياته، منها:

١- ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[١].

٢- ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٢].

وفي معنى الطائر، هنا، أقوال:

منها: أنّه تشبيه بالحيوان الطائر؛ لأنّه كان شائعًا عند العرب قراءة الطالع الحَسَن من خلال حركة الطائر، فإنْ تحرَّك من جهة اليسار إلى جهة اليمين يتفاءلون، وإنْ تحرَّك من جهة اليمين إلى جهة اليسار يتشاءمون، ولهذا يقول لهم القرآن الكريم: إنّ الفأل الحسن والسيِّء هو أعمالكم[٣].

---

(١) سورة الكهف، الآية ٤٩.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان ١٣-١٤.

(٣) أنظر: الطبرسيّ، الفضل، تفسير مجمع البيان، ج٦، ص ٢٢٧.

ومنها: أنّ المراد من الطائر عمله الذي طار عنه من خير أو شرّ[١]، فهو بمثابة ما قيل: الكلمة ملكك حتّى تنطق بها.

وإلزام الطائر في الآية هو بمعنى جعله لازمًا لا يفارقه، وقال تعالى: ﴿فِي عُنُقِهِۦ﴾؛ لأنّ العنق هو العضو الذي لا يمكن أن يفارق الإنسان أو يفارقه الإنسان[٢]. وقيل: معناه أنّه يحكم بكون عمله كالطّوق في عنقه[٣].

وقد ذكر القرآن الكريم علامةً لكون الكتاب حسنًا أو سيِّئًا، ممدوحًا ما فيه أو مذمومًا، وهي الجهة التي يؤتى الإنسان بها كتابه، فإن أُعطي بيمينه كان ذلك دلالة على حُسن المصير، وإن أُعطي كتابه بيساره كان دليلاً على سوء المصير، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾[٤].

لذلك فإنّ من يُعطى الكتاب بيمينه يكون على ثقة بنجاته،

(١) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج١٣، ص ٥٣.
(٢) المرجع السابق، ص ٥٤.
(٣) الطوسيّ، محمّد، التبيان، ج٦، ص ٤٥٤.
(٤) سورة الإنشقاق، الآيات ٧-٩.

يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾[١]. هاؤم فعل أمر للجماعة بمنزلة هاكم أي خذوا أيّتها الملائكة كتابي، واقرؤوه[٢].

وفي المقابل يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾[٣].

لذا ورد استحباب أن يقول المتوضِّئ حينما يغسل يده اليمنى: «**اللهمّ أعطني كتابي بيميني**»[٤].

ب- الشهود

رغم دقّة الكتاب الذي يمثّل الوثيقة الإلهيّة الحقّة لجميع أعمال الإنسان، إلاّ أنّ الله تعالى لا يكتفي به، بل يدعم ذلك

(١) سورة الحاقة، الآية ١٩.
(٢) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج١٩، ص ٣٩٩.
(٣) سورة الحاقة، الآيات ٢٥-٢٩.
(٤) الصدوق، محمّد، المقنع، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف، (لا، ط)، (لا، م)، ١٤١٥هـ، ص١٠.

بشهود يشهدون على أنّ الإنسان قد ارتكب تلك الأعمال المسجَّلة فيها، قال تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾[١].

ومعنى سائق هو الذي يسوق الإنسان من خلفه إلى الأمام؛ لأنّ السياقة في لغة العرب هي حثّ الماشية على السير من خلفها، بعكس القيادة التي هي جلبها من أمامها[٢]، وعليه، فالإنسان في مشهد يوم القيامة لا يستطيع الفرار أو تغيير وجهة سيره من ساحة الحساب؛ لأنّه يُساق إليها سياقة.

وإضافة لهذا السائق يوجد شاهد شهيد على أعمال الإنسان، وهو ليس من نوع واحد، فقد ذكر القرآن الكريم ثلاثة أنواع من الشهود على ما فعله الإنسان في دنياه هي:

١- الملائكة

أكّد القرآن الكريم أنّ اللّه تعالى جعل على كلّ إنسان

---

(١) سورة ق، الآية ٢١.

(٢) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج١٨، ص ٣٤٩.

مَلَكين يكتبان ويسجّلان أعماله، وأكّدت الأحاديث أنّ هذين الملكين يشهدان على أعمال الإنسان يوم القيامة. قال اللّه تعالى:

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[1].

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[2].

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾[3].

يقول الشيخ الطبرسي في تفسيرها: المتلقّيان هما ملكان يتلقّيان من الإنسان عمله، كما يُملَى على أحدهم فيكتب[4].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «...**يوكّل اللّه به ملكين يكتبان حسناته وسيّئاته، فإذا حضره الموت ارتفع ذلك الملكان وجاء ملك الموت ليقبض روحه**»[5].

---

(١) سورة الإنفطار، الآيات ١٠-١٢.

(٢) سورة ق، الآية ١٨.

(٣) سورة ق، الآية ١٧.

(٤) الطبرسي، الفضل، تفسير جوامع الجامع، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، قم، ١٤٢١هـ، ج٣، ص ٤١٥.

(٥) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج١٨، ص ٣٥٨.

وكان الامام زين العابدين عليه السلام يستحضر في دعائه هؤلاء الملائكة الكاتبين، فكان يقول: «**اللهمّ يسِّر على الكرام الكاتبين مؤونتنا، واملأ لنا من حسناتنا صحائفنا، ولا تُخْزِنا عندهم بسوء أعمالنا، اللهمّ اجعل لنا في كلِّ ساعةٍ من ساعاته حظًّا من عبادتك، ونصيبًا من شكرك، وشاهد صدقٍ من ملائكتك**»[(١)].

وعن حكمة وجود هؤلاء الملائكة الكاتبين ورد أنّ ملحدًا أتى إلى الإمام الصادق عليه السلام فسأله: ما علّة الملائكة الموكلين بعباده يكتبون عليهم ولهم، والله عالم السرّ وما هو أخفى؟ فأجابه: «**استعبدهم بذلك، وجعلهم شهودًا على خلقه، ليكون العباد لملازمتهم إيّاه أشدّ على طاعة الله مواظبةً، وعن معصيته أشدَّ انقباضًا، وكم من عبد يهمُّ بمعصيته فذكر مكانهما فارعوى وكفَّ، فيقول: ربّي يراني، وحفظتي عليّ بذلك تشهد**»[(٢)].

(١) الإمام علي بن الحسين، الصحيفة السجادية، ط١، قم، دفتر نشر الهادي، ١٤١٨هـ، ص ٥٠.

(٢) الطبرسي، أحمد، الاحتجاج، (لا، ط)، النجف الأشرف، دار النعمان، ١٣٨٦هـ، ج٢، ص ٩٥.

٢- جوارح الإنسان

أي أعضاء جسده، فهي تشهد على أعماله يوم القيامة، قال تعالى:

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[(١)].

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[(٢)].

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[(٣)].

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[(٤)].

---

(١) سورة فصلت، الآية ٢٢.

(٢) سورة النور، الآية ٢٤.

(٣) سورة يس، الآية ٦٥.

(٤) سورة فصلت، الآيات ١٩-٢١.

٣- الأرض

قال اللّه تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[١].

وقد فُسِّرت الأثقال بالناس الذين يكونون في باطن الأرض فتثقل بهم، لذا فإنّها يوم القيامة تلفظهم بزلزالها العظيم[٢]، وتحدِّث أخبارها وهو حديث شهادة منها بما اقترفوا عليها في هذه الدنيا.

ج- الميزان

ولا يكتفي العرض القرآنيّ للحساب بذكر الكتاب والشهود، بل يكمله بأنّ أعمال الإنسان تقسّم إلى الأعمال الحسنة، والأعمال السيّئة، ويوضع كلٌّ منها في كفّة ميزان، فإن ثقلت الكفّة الأولى يكُنّ من الناجين، وإن خفَّت هذه

---

(١) سورة الزلزلة، الآيات ١-٥.

(٢) أنظر: الطوسيّ، محمّد، التبيان، ج١٠، ص ٣٩٣.

الكفّة على حساب ثقل كفّة السيِّئات يكُنْ من المستحقّين لعذاب اللّه تعالى، يقول عزّ وجلّ:

- ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾[1].
- ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾[2].

وأكّد القرآن الكريم أنّ الميزان بكفّتيه يحوي جميع أعمال الإنسان حتّى الصغيرة جدًّا، فهو قائم على الدقّة في العدالة والمحاسبة الإلهيّة، يقول تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان ٨-٩.
(٢) سورة القارعة، الآيات ٦-١١.
(٣) سورة الأنبياء، الآية ٤٧.

معنى الميزان

في تحديد حقيقة الميزان يوم القيامة خلاف: فمنهم من حمله على المفهوم المتعارف للميزان بمعنى أنّ اللّٰه تعالى ينصب للإنسان ميزانًا له لسان وكفتّان يوم القيامة، فتوزن به أعمال العباد، وبما أنّ الأعمال أعراض، والعرَض لا وزن له، ولا بُعد، فسَّروا ذلك بأنّ الذي يوزن هو صحائف الأعمال، ومنهم وهم أكثر الشيعة من حمل التعبير على المجاز، وأنّ المراد من الوزن العدل والتسوية والقسمة الصحيحة[1]، وقد ورد في تفسير الميزان بهذا المعنى حوار بين الإمام الصادق عليه السلام وأحد الزنادقة الذي قال للإمام عليه السلام: أَوَ ليس توزن الأعمال؟ قال: «**لا، إنّ الأعمال ليست بأجسام، وإنّما هي صفة ما عملوا، وإنّما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء، ولا يعرف ثقلها ولا خفّتها،**

---

(١) أنظر: الفتال النيسابوريّ، محمّد، روضة الواعظين، (لا، ط)، قم، الشريف الرضي، (لا، ت)، ص ٤٩٩. الشاهروديّ، عليّ، مستدرك سفينة البحار، تحقيق حسن بن علي النمازي، قم، مؤسسة النشر، ١٤١٨هـ، ج١٠، ص ٢٩٥.

وإنّ الله لا يخفى عليه شيء». قال: فما الميزان؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**العدل**»[١].

ما يُثقل كفّة الحسنات

ذكرت الروايات أنّ ثمّة أمورًا مرتبطة بالإنسان لها دور في تثقيل حسناته بشكل استثنائيّ، وهي:

١ الشهادتان

عن الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**يؤتى برجل يوم القيامة إلى الميزان، ويؤتى له تسعة وتسعون سجلّاً، كلّ سجلّ منها مدّ البصر، فيها خطاياه وذنوبه، فتوضع في كفّة الميزان، ثمّ يخرج له قرطاس كالأنملة فيها شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّدًا رسول الله، فيوضع في الآخر فيرجح**»[٢].

٢ الصلاة على محمّد وآل محمّد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

عن الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**أنا عند الميزان يوم القيامة،**

---

(١) الشاهروديّ، عليّ، مستدرك سفينة البحار، ج١٠، ص ٢٩٥.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٧، ص ٢٤٤.

فمن ثقلت سيّئاته على حسناته جئت بالصلاة عليّ حتى أثقل بها حسناته»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمّد وآل محمّد، وإنّ الرجل لتوضع أعماله في الميزان فتميل به، فيُخرج** صلى الله عليه وآله وسلم **الصلاة عليه، فيضعها في ميزانه فيرجح»**[٢].

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «**من لم يقدر على ما يكفِّر به ذنوبه، فليكثر من الصلاة على محمّد وآل محمّد؛ فإنّها تهدم الذنوب هدمًا»**[٣].

٣ حُسن الخُلق

عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حُسن الخُلق»**[٤].

(١) الصدوق، محمّد، ثواب الأعمال، ص ١٥٥.
(٢) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٢، ص ٤٩٤.
(٣) الصدوق، محمّد، الأمالي، ص ١٣١.
(٤) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٢، ص ٩٩.

٤ الأولاد الميّتون في حياة الإنسان

عن الرسول الأكرم ﷺ: «...**رأيت رجلاً من أمّتي قد خفّت موازينه، فجاءه أفراطه، فثقّلوا موازينه**»[١].

والأفراط هم الأولاد الذين ماتوا قبله.

٥ افتراء الآخرين عليه

عن الرسول الأكرم ﷺ: «**يجاء بالعبد يوم القيامة، فتوضع حسناته في كفّة، وسيّئاته في كفّة، فترجح السيِّئات، فتجيء بطاقة، فتقع في كفّة الحسنات، فترجح بها، فيقول: يا ربّ، ما هذه البطاقة؟ فيقول عزّ وجلّ: هذا ما قيل فيك، وأنت منه بريء**»[٢].

---

(١) الصدوق، محمّد، الآمالي، ص ٣٠٢.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج١٠٦، ص ١١٢.

8

حساب الأعمال

ورد في النصوص الشريفة أنّ كتاب الإنسان (صحيفة أعماله) الذي يُقدَّم له يوم القيامة رغم دقّته التي من خلالها لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها، فإنّه قد يحمل في طيّاته مفاجآت لصاحبه، فقد يجد فيه ما لم يفعله، وقد لا يجد فيه ما فعله، وقد يُلاحظ فيه سترًا على ذنوب اقترفها، بحيث لا يكون عليها شهود، وهذا ما نتابعه فيما يأتي من عناوين:

أ- الأعمال المكتوبة في صحيفة الأعمال:

١- الحسنات والسيّئات

التي فعلها الإنسان والتي أشار إليها اللّه تعالى بقوله: ﴿

مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾[1].

٢- ما همّ به من حسنة

وهذا ما ورد في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال فيها: «**إنّ الله تبارك وتعالى جعل لآدم في ذريّته: من همَّ بحسنة، ولم يعملها كتبت له حسنة، ومن همّ بحسنته وعملها كتبت له بها عشر، ومن همَّ بسيّئة، ولم يعملها لم تكتب عليه، ومن همّ بها وعملها كتبت عليه سيّئة**»[2].

٣- الطاعة التي يداوم عليها وحرمه منها المرض

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رفع رأسه إلى السماء، فتبسَّم. فقيل له: يا رسول الله، رأيناك رفعت رأسك إلى السماء، فتبسّمت؟ قال: نعم، عجبت لمَلَكين هبطا من السماء إلى الأرض يلتمسان عبدًا مؤمنًا صالحًا في مصلّى كان يصلّي فيه، ليكتبا له عمله في يومه وليلته، فلم يجداه في مصلاّه، فعرجا إلى السماء، فقالا:**

(١) سورة الكهف، الآية ٤٩.

(٢) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٢، ص ٤٢٨.

ربّنا، عبدك المؤمن فلان التمسناه في مصلّاه لنكتب له عمله ليومه وليلته، فلم نصبه، فوجدناه في حبالك؟ فقال الله عزّ وجلّ: اكتبا لعبدي مثل ما كان يعمله في صحّته من الخير في يومه وليلته ما دام في حبالي، فإنّ عليَّ أن أكتب له أجر ما كان يعمله في صحّته إذا حبسته عنه»[1].

٤- عمل الآخرين بسنَّته الحسنة ووزر عملهم بسنّته السيّئة

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾[2].

من الآثار التي تُكتب في صحيفة الأعمال والتي تتحدّث عنها الآية، ما أشار إليه رسول اللّه ﷺ في الحديث الوارد عنه: «**من سنّ سنّة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سنّ سنّة سيّئة كان عليه وزرها ووزر**

(١) المصدر السابق، ج٣، ص ١١٣.
(٢) سورة يس، الآية ١٢.

من عمل بها إلى يوم القيامة»[(١)].

وبما سبق فسَّر الإمام الباقر عليه السلام قوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[(٢)]، فعنه عليه السلام: «**بما قدّم من خير وشرّ وما أخّر، ممّا سنّ من سنّة ليستنَّ بها من بعده، فإن كان شرًّا كان عليه مثل وزرهم، ولا يُنقص من وزرهم شيئًا، وإن كان خيرًا كان له مثل أجورهم، ولا يُنقص من أجورهم شيئًا**»[(٣)].

٥- الأعمال الجارية

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به من بعده، أو ولد صالح يدعو له**»[(٤)].

وفي سياق هذه الباقيات الثلاث ورد في الحديث النبويّ الشريف: «**خمسة في قبورهم وثوابهم يجري إلى ديوانهم:**

(١) الطبرسي، الفضل، تفسير مجمع البيان، ج١، ص١٨٦.

(٢) سورة القيامة، الآية ١٣.

(٣) علي، القمّي، تفسير القمّي، ج٢، ص ٣٩٧.

(٤) الحلّي، جعفر، المعتبر، (لا، ط)، قم، مؤسسة سيد الشهداء، ج١، ص ٣٤١.

١- من غرس نخلاً، ٢- ومن حفر بئرًا، ٣- ومن بنى للّه مسجدًا، ٤- ومن كتب مصحفًا، ٥- ومن خلّف ابنًا صالحًا»[١].

وكتطبيق عمليّ لهذه الحقيقة يخبرنا النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عن قصّة حصلت مع نبيّ اللّه عيسى عليه السلام، فعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**مرّ عيسى بن مريم بقبر يعذّب صاحبه، ثمّ مرّ به من قابل فإذا هو لا يعذّب، فقال: يا ربّ، مررت بهذا القبر عام أوّل، فكان يعذّب، ومررت به العام، فإذا هو ليس يعذّب، فأوحى اللّه إليه: إنّه أدرك له ولد صالح، فأصلح طريقًا وآوى يتيمًا، فلهذا غفرت له بما فعل ابنه**»[٢].

وإضافة إلى ما تقدّم من عناوين الباقيات الصالحات ورد عنوان آخر هو المرابطة على ثغور المسلمين فعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**كلّ ميّت يُختم على عمله إلاّ المرابط في سبيل اللّه،**

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج١٠١، ص ٩٧.
(٢) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج ٦، ص ٣.

فإنّه ينمو له عمله إلى يوم القيامة»[١].

ب- الأعمال المنقولة

قد يتفاجأ صاحب الصحيفة يوم القيامة بوجود سيّئات فيها لم يفعلها، وبغياب حسنات قد عملها، فما هو سبب ذلك؟ الجواب في الحديث النبويّ الآتي: «**يؤتى بأحد يوم القيامة فيوقف بين يدي الربّ عزّ وجلّ، ويدفع إليه كتابه، فلا يرى حسناته فيه، فيقول: إلهي ليس هذا كتابي لا أرى فيه حسناتي! فيقال له: إنّ ربّك لا يضلّ ولا ينسى، ذهب عملك باغتياب الناس، ثمّ يؤتى بآخر، ويدفع إليه كتابه، فيرى فيه طاعات كثيرة، فيقول: إلهي، ما هذا كتابي؛ فإنّي ما عملت هذه الطاعات! فيقال له: إنّ فلانًا اغتابك، فدفع حسناته إليك»**[٢].

(١) الحلّي، الحسن، منتهى الطلب، (لا، ط)، (لا، م)، (لا،ن)، (لا، ت)، ج٢، ص ٩٠٢.

(٢) الأنصاري، مرتضى، المكاسب، تحقيق لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، ط١، قم، المؤتمر العالمي، ١٤١٥، ج١، ص ٣١٨.

ج - الذنوب المغطّاة في صحيفة الأعمال

مع أنّ الذنوب تسجَّل في صحيفة الأعمال، ومع أنّ الملائكة والجوارح والأرض شهود على ما اقترفه صاحب الصحيفة من آثام، إلاّ أنّ اللّه تعالى يتعامل مع التائبين من ذنوبهم تعاملاً خاصًّا، إذ يستر عليهم تلك الذنوب المسجَّلة، ويعطِّل الشهادة عليهم، وهذا ما ورد في الحديث عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إذا تاب العبد توبةً نصوحًا أحبّه اللّه، فستر عليه، فسئل: وكيف يستر عليه؟ قال** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **يُنسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب، ويوحي إلى جوارحه: اكتمي عليه ذنوبه، ويوحي إلى بقاع الأرض: اكتمي ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى اللّه حين يلقاه، وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب**»[1].

وقد أكّد الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا المعنى في دعاء كميل متعرِّضًا لذلك من باب الشعور بالامتنان للّه تعالى، قال

---

(١) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٢، ص ٤٣١.

عليه السلام: «...أن تهب لي في هذه الليلة، وفي هذه الساعة، كلّ جرمٍ أجرمته، وكلّ ذنب أذنبته...وكلّ سيّئةٍ أمرت بإثباتها الكرام الكاتبين الذين وكّلتهم بحفظ ما يكون منّي، وجعلتهم شهودًا عليّ مع جوارحي، وكنت أنت الرقيب عليّ من ورائهم، والشاهد لما خفي عنهم، وبرحمتك أخفيته، وبفضلك سترته..»[1].

د - الذنوب الممحوّة من صحيفة الأعمال

بالتوبة يغفر اللّه الذنوب، أي يسترها كما تقدّم، لكن هناك شيء يمحي سيّئات الإنسان من صحيفة أعماله، هو ما أرشدنا إليه أمير المؤمنين عليه السلام حينما أقبل على الناس فقال: **«أيّة آيةٍ في كتاب الله أرجى عندكم؟ فقال بعضهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾[2]. فقال: حسنة، وليست إيّاها. وقال بعضهم: ﴿**

---

(١) الطوسي، محمّد، مصباح المتهجّد، ط١، بيروت، مؤسسة فقه الشيعة، ١٤١١هـ، ص ٨٤٩.

(٢) سورة النساء، الآية ٤٨.

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[١]. **قال عليه السلام: حسنة، وليست إيّاها. وقال بعضهم:**

﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٢]. قال عليه السلام: حسنة، وليست إيّاها. وقال بعضهم: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾[٣]. قال عليه السلام: حسنة، وليست إيّاها. قال: ثمّ أحجم الناس. فقال: ما لكم يا معشر المسلمين؟ فقالوا: لا والله، ما عندنا شيء. قال عليه السلام: سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أرجى آية في كتاب الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ

---

(١) سورة النساء، الآية ١١٠.

(٢) سورة الزمر، الآية ٥٣.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان ١٣٥-١٣٦.

ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[١]. قال ﷺ: يا عليّ! والذي بعثني بالحق بشيرًا ونذيرًا! إنّ أحدكم ليقوم من وضوئه، فتساقط عن جوارحه الذنوب، فإذا استقبل اللّٰه بوجهه وقلبه، لم ينفتل وعليه من ذنوبه شيء، كما ولدته أمّه، فإن أصاب شيئًا بين الصلاتين، كان له مثل ذلك حتى عدّ الصلوات الخمس. ثمّ قال ﷺ: يا عليّ، إنّما منزلة الصلوات الخمس لأمّتي، كنهر جارٍ على باب أحدكم، فما يظنّ أحدكم لو كان في جسده درن، ثمّ اغتسل في ذلك النهر خمس مرّات، أكان يبقى في جسده درن؟ فكذلك واللّٰه الصلوات الخمس لأمّتي»[٢].

(١) سورة هود، الآية ١١٤.

(٢) الطبرسي، الفضل، تفسير مجمع البيان، ج٥، ص ٣٤٦.

9

حساب العقيدة

كيف يحاسب اللّٰه عزّ وجلّ الضالّين عن الحقّ؟

هل يعذِّبهم جميعًا على أساس الضلال في معتقداتهم؟

أم إنّ في حسابهم تفصيلاً ينطلق من الاختلاف في خلفيَّاتهم التي من خلالها بنوا عقائدهم؟

هذا ما سنجيب عنه انطلاقًا من إيماننا بأنّ عقل الإنسان يدرك حسن الأشياء وقبحها، وبالتالي فإنّه يدرك استحالة أن يقدم اللّٰه تعالى على فعل القبيح، وعليه، فإنْ أدرك العقل قبح شيء، فإنّه يحكم بوضوح بأنّ اللّٰه تعالى لايمكن أن يفعله، ومثال ذلك أن يُدخل اللّٰه تعالى المعصوم عن الذنب إلى النار، فإنّه قبيح، لذا فهو مستحيل على اللّٰه تعالى بحكم العقل.

الحالات الأربع للضالّين

في ضوء ما تقدّم نتحدَّث عن حساب اللّه تعالى لغير أهل الحقّ يوم القيامة، فإنّهم، بحسب خلفيّاتهم ومنطلقاتهم، أربع حالات:

الحالة الأولى: الجحود، فمن أهل الضلال من يكون عالماً بالحقّ، عارفًا به، ومع ذلك يُنكره ويجحده لسبب ما كالحسد والاستكبار ونحوهما، وهذه الحالة تنطق عن من ورد في قوله تعالى:

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾[1]، **فهذه الآية واضحة في جحود فرعون وأتباعه، مع يقينهم بأنّ ما رأوه هو من آيات اللّٰه عزّ وجلّ.**

الحالة الثانية: التقصير، فمن أهل الضلال من يكون غير مطَّلع أصلاً على العقيدة الحقّة، أو مطَّلع، لكنّه لم

(١) سورة النمل، الآيات ١٢-١٤.

يبحث مع توفّر الداعي إلى ذلك، فيكون الكافر في هذه الحالة مقصِّرًا؛ لأنّ دواعي وظروف البحث والوصول إلى النتيجة توفَّرت له، ومع ذلك، لم يكلِّف نفسه مؤونة البحث ليصل إلى نتيجة موضوعيّة.

الحالة الثالثة: القطع، فمن أهل الضلال من يكون غير مطَّلع أصلاً، أو مطَّلع، لكنَّه لم يبحث بسبب وجود يقينٍ تامٍّ بخلاف ما يتطلّبه الإيمان.

الحالة الرابعة: القصور، فمن أهل الضلال من يكون غير مطَّلع أصلاً، أو مطَّلع، لكنَّه لم يبحث بسبب قصور معرفيّ، ينتفي معه أيّ داعٍ للبحث عن الحقيقة.

أمّا حالة الجحود والتقصير، فالحكم فيهما هو استحقاق العقاب للجاحد بسبب جحوده، والمقصِّر بسبب تقصيره.

ولكن استحقاق العقاب لا يعني فعليَّة العقاب؛ إذ العقل يحكم بأنّ الله تعالى إذا وعد بثوابٍ يجب منه أن يفي بوعده، أمّا إذا توعَّد بعقاب، فيمكن أن يسقطه من باب رحمته وفضله وإحسانه.

قال المحقِّق نصير الدين الطوسيّ قُدِّسَ سِرُّهُ: «... **ودوام العقاب مختصّ بالكافر، والعفو واقع؛ لأنّه حقّه تعالى، فجاز إسقاطه، ولا ضرر عليه في تركه، مع ضرر النازل به، فَحُسنَ إسقاطه، ولأنّه إحسان، وللسمع**»[1]، والمراد من الكلمة الأخيرة أنّه، بالإضافة إلى الدليل العقليّ على إمكانيّة سقوط العقاب عن الكافر، يوجد نصوص دينيّة دلَّت على ذلك أيضًا.

أمّا الحالة الثالثة، وهي حالة وجود يقينٍ تامٍّ بما يعتقده الكافر حقاً، ممَّا يفقده الدافع للبحث عن اعتقاد آخر، فهي كسائر حالات اليقين عند الإنسان التي لا يمكن أن يصحَّح فيها عقاب الإنسان على تبعات عدم إيمانه بعقيدة يتيقَّن بخلافها، فالخطاب بتلك العقيدة لا يمكن أن يتوجَّه إليه، فكيف يُحاسَب عليه؟!

إنَّ العقل القطعيّ الدالّ على الحكمة الإلهيّة لا يجوِّز عقاب ذلك المتيقِّن على أمر يقطع بخلافه.

---

(١) الطوسي، محمّد، تجريد الاعتقاد، تحقيق محمّد جواد الحسين الجلالي، ط١، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٧هـ، ص٣٠٤-٣٠٥.

أمّا الحالة الرابعة، وهي حالة القصور المعرفيّ، فهي مشابهة للحالة الثالثة من ناحية حكم العقل القطعيّ بقبح العقاب من اللّه تعالى، باعتباره نوعاً من الظلم، فمن كان قاصراً عن إدراك الحقيقة، غير مقصِّر في السعي للوصول إليها، ولم يعتقد بها بسبب هذا القصور، فكيف يمكن للعادل أن يعاقبه؟! أليس عقابه يشبه عقاب المجنون أو الطفل الصغير على ما يرتكبه من دون وعيه لذلك؟!

إنَّ ما تقدَّم من منطق العقل نقرؤه في نصِّ القرآن الكريم الذي تحدّث عن عفو اللّه تعالى عن القاصرين الذين أطلق عليهم اسم المستضعفين قائلاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[١].

(١) سورة النساء، الآيات ٩٧-٩٩.

علّق العلّامة السيِّد محمّد حسين الطباطبائي قُدِّسَ سِرُّهُ على هذه الآية بقوله: «**يتبيّن بالآية أنّ الجهل بمعارف الدين إذا كان عن قصور وضعف ليس فيه صنع للإنسان الجاهل كان عذراً عند الله سبحانه**»[١].

وقد رفض أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ المنطق المضيِّق لرحمة الله تعالى، كما يظهر جليًّاً في الرواية التي أوردها صاحب الكافي عن زرارة قال: «دخلت أنا وحمران (أو بكير) على أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قلت له: إنما نمدُّ المطمار، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : **وما المطمار؟** قلت: التّر[٢]، فمن وافقنا من علويٍّ أو غيره تولّينا، ومن خالفنا من علويّ أو غيره برئنا منه، فقال لي: **يا زرارة، قول الله أصدق من قولك، فأين الذين قال الله عزَّ وجلَّ: إلّا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً؟! أين المُرجون لأمر الله؟! أين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً؟ أين أصحاب الأعراف؟ أين المولَّفة قلوبهم؟**»[٣].

---

(١) الطباطبائي، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج٥، ص٥١.

(٢) التر هو خيط البناء.

(٣) الكليني، محمّد، الكافي، ج٢، ص ٣٨٣.

تصريح العلماء بعدم عذاب القاصر

قال الشيخ محمّد تقيّ القميّ قُدِّسَ سِرُّهُ: «**ثبوت العذاب الدائم على الجاهل مخصَّص بما حقّقوه في محلّه من عدم تكليف الغافل، وعدم تكليف ما لا يُطاق، ونحو ذلك... وأمّا العذاب الدائم، فلا دليل عليه، بل ومطلق العذاب أيضًا**»[١]. أي لا دليل على ثبوت العذاب للغافل القاصر، وغير القادر على تحمّل التكليف.

وقال نصير الدين الطوسيّ: «**المبالغ في الاجتهاد، إمّا أن يصير واصلاً، أو يبقى ناظراً، وكلاهما ناجيان**»[٢]. إنَّه تبنٍّ لنجاة الباحث عن الحقيقة سواء وصل إليها، أو ما زال في بحثه ناظراً بدون الوصول إليها.

وقال الإمام روح الله الخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ: «**إنّ أكثرهم [أي الكافرين] إلاّ ما قلّ وندر، جهّال قاصرون لا مقصِّرون، أمّا**

---

(١) القمي، محمّد تقي، القوانين، (لا، ط)، (لا، م)، (لا، ن)، (لا، ت)، ج٢، ص ١٠٤.

(٢) الطوسي، نصير الدين، تلخيص المحصّل، ط٢، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٥م، ص ٤٠٠.

عوامُّهم فظاهر، لعدم انقداح خلاف ما هم عليه من المذاهب في أذهانهم، بل هم قاطعون بصحّة مذهبهم، وبطلان ساير المذاهب، نظير عوامّ المسلمين، فكما أنّ عوامّنا عالمون بصحّة مذهبهم، وبطلان ساير المذاهب من غير انقداح خلاف في أذهانهم؛ لأجل التلقين والنشوء في محيط الإسلام، كذلك عوامُّهم من غير فرق بينهما من هذه الجهة. والقاطع معذور في متابعة قطعه، ولا يكون عاصياً وآثماً، ولا تصحّ عقوبته في متابعته. وأمّا غير عوامّهم، فالغالب فيهم أنّه، بوساطة التلقينات من أوّل الطفوليّة والنشوء في محيط الكفر، صاروا جازمين ومعتقدين بمذاهبهم الباطلة بحيث كلّ ما ورد على خلافه ردّوه بعقولهم المجبولة على خلاف الحقّ من بدو نشوئهم، فالعالم اليهوديّ والنصرانيّ كالعالم المسلم لا يرى حجّةَ الغيرِ صحيحةً، وصار بطلانُها كالضروريّ له؛ لكون صحّة مذهبه ضروريّة لديه لا يحتمل خلافه.

نعم، فيهم من يكون مقصِّراً لو احتمل خلاف مذهبه، وترك النظر إلى حجّته عناداً أو تعصّباً كما كان في بدو

الإسلام في علماء اليهود والنصارى من كان كذلك، وبالجملة إنَّ الكفار، كجهَّال المسلمين، منهم قاصر، وهم الغالب، ومنهم مقصِّر، والتكاليف أصولاً وفروعاً مشتركة بين جميع المكلّفين، عالمهم وجاهلهم، قاصرهم ومقصِّرهم، والكفّار معاقبون على الأصول والفروع لكن مع قيام الحجّة عليهم لا مطلقاً، فكما أنّ كون المسلمين معاقبين على الفروع ليس معناه أنّهم معاقبون عليها، سواء كانوا قاصرين أم مقصّرين، كذلك الكفّار طابق النعل بالنعل بحكم العقل وأصول العدليّة»[1].

وقال الشيخ محمّد كاظم الخرسانيّ قدس سره: «**لا يجوز الاكتفاء بالظنّ فيما يجب معرفته عقلاً أو شرعاً، حيث إنّه ليس بمعرفة قطعاً، فلا بدَّ من تحصيل العلم لو أمكن، ومع العجز عنه كان معذوراً إنْ كان عن قصور؛ لغفلته، أو لغموضة المطلب مع قلّة الاستعداد، كما هو الشاهد في كثير من النساء، بل الرجال، بخلاف ما إذا**

(١) الخميني، روح الله، المكاسب المحرّمة، قم، مهر، ١٣٨١هـ، ج١، ص ١٣٣-١٣٤.

كان عن تقصير في الاجتهاد، ولو لأجل حبّ طريقة الآباء والأجداد واتباع سيرة السلف»[١].

وقال السيِّد أبو القاسم الخوئيّ قدس سره، بحسب تقرير بحثه للبهسوديّ، في حديثه حول استحقاق القاصر للعقاب وعدمه: «**المعروف بينهم أنَّ الجاهل القاصر غير مستحقّ للعقاب، وهو الصحيح؛ إذ العقل مستقلّ بقبح العقاب على أمر غير مقدور، وإنّه من أوضح مصاديق الظلم، فالجاهل القاصر معذور غير معاقب على عدم معرفة الحقّ بحكم العقل إذا لم يكن يعانده، بل كان منقاداً له على إجماله»**[٢].

إنّ ما تقدّم ينسجم مع ما رواه الشيخ الكلينيّ قدس سره في الكافي بسنده إلى الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّما يداقّ الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا»**[٣].

---

(١) الخراسانيّ، محمّد كاظم، كفاية الأصول، (لا، ط)، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، (لا، ت)، ص٣٧٩.

(٢) البهسوديّ، محمّد، مصباح الأصول، ط٥، قم، مكتبة الداوي، ١٤١٧هـ، ج٢، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٣) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج١، ص ١١.



الأسئلة الأربعة

ورد عن الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتّى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن حبِّنا أهل البيت**»(١).

ولأهميّة هذه الأسئلة نقف عند كلّ واحد منها بصورة موجزة.

السؤال الأوّل: عن عمره

إنّ عمر الإنسان كالساعة الرمليّة، حيث تكون الرمال كلّها في الجانب الأعلى عندما يولد، ومن حينها يبدأ الرمل

---

(١) الصدوق، محمّد، الخصال، ص ٢٥٣.

بالنزول، فالعمر الأكبر للإنسان ليس حينما يموت، بل هو حينما يولد، لذا ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**أكبر ما يكون ابن آدم اليوم الذي يلد من أمّه**»[(١)].

وعمر الإنسان يذهب سريعًا بدون إمكانية العودة، فكلّ لحظة مضت تكون عدمًا في الحال، فما مضى هو في دائرة الفناء، لذا ورد أنّ الليل ينادي: «**يا بن آدم، إنّي خلق جديد، إنّي على ما فيّ شهيد، فخذ منّي؛ فإنّي لو قد طلعت الشمس لم أرجع إلى الدنيا**»[(٢)].

وما مضى، وإن كان يفنى، لكنّ آثاره تبقى تلازم الإنسان، وبحسب تعبير الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء التوبة: «**...من ذنوب أدبرت لذاتها فذهبت، وأقامت تبعاتها فلزمت**»[(٣)]، لذا أراد الله تعالى للإنسان أن يكون الإنسان هو قبطانَ سفينته التي تسير بدون إرادته، وعلى حسب تعبير

---

(١) المفيد، محمّد، الاختصاص، تحقيق علي أكبر الغفاري ومحمود الزرندي، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٣٤٢.
(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج ٨٣، ص ٢٨١.
(٣) ابن الحسين، الإمام عليّ، الصحيفة السجادية، ص ١٤٠.

الإمام عليّ عليه السلام : **«إنّ الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما، ويأخذان منك، فخذ منهما»**[١].

ومهما كانت النتيجة، فإنّ اللّه تعالى يسأل الإنسان يوم القيامة عن إفناء عمره، كيف حصل؟ والجواب له ثلاثة عناوين:

١- طاعة ٢- معصية ٣- فراغ

وهذه العناوين الثلاثة تتمثّل له يوم القيامة، فعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : **«يُفتح للعبد يوم القيامة على كلّ يوم من أيام عمره أربع وعشرون خزانة، عدد ساعات الليل والنهار، فخزانة يجدها مملوءة نورًا وسرورًا، فيناله عند مشاهدتها من الفرح والسرور ما لو وزّع على أهل النار لأدهشهم عن الإحساس بألم النار، وهي الساعة التي أطاع فيها ربّه، ثمّ يُفتح له خزانة أخرى يراها مظلمة منتنة مفزعة، فيناله عند مشاهدتها من الفزع والجزع ما لو قسم على أهل**

(١) الواسطي، علي، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين الحسيني البيرجندي، ط١، (لا، م)، دار الحديث، (لا، ت)، ص ١٤٤.

الجنّة لنغّص عليهم نعيمها، وهي الساعة التي عصى فيها ربّه، ثمّ يُفتح له خزانة أخرى، فيراها فارغة ليس فيها ما يسرّه ولا ما يسوؤه، وهي الساعة التي نام فيها أو اشتغل فيها بشيء من مباحات الدنيا، فيناله من الغبن والأسف على فواتها حيث كان متمكّنًا من أن يملأها حسنات ما لا يوصف، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾[1]»[2].

السؤال الثاني: عن شبابه

وهي المرحلة الأكثر نشاطًا في عمر الإنسان التي عليه أن يلتفت جيّدًا إلى استثمارها، وهذا ما نبّه إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في وصيّته للصحابيّ الجليل أبي ذرّ الغفاريّ حينما قال له: «**يا أبا ذر، اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحّتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»[3]، وعن الإمام

(١) سورة التغابن، الآية ٩.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٧، ص ٢٦٢.

(٣) الطوسي، محمّد، الأمالي، ص ٥٢٦.

عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**شيئان لا يعرف فضلهما إلاّ من فقدهما: الشباب والعافية**»[١].

والتركيز على مرحلة الشباب لأنّ فيها القابليّات الأعلى لتكامل الإنسان، وتحقيق غاية وجوده، كما أنّها قد تكون المرحلة الأخطر في انزلاق الإنسان نحو المهالك، وذلك من خلال غرور الشابّ بجماله، أو تطرّفه باستعماله قوّته، أو حبِّه للمغامرة أو نحو ذلك، ممّا أشار إليه التعبير النبويّ: «**الشباب شعبة من الجنون**»[٢]. لذا فإنَّ مرحلة الشباب هي فترة امتحان للإنسان، وهو ما يفهمنا سرّ السؤال عن هذه المرحلة يوم القيامة بصيغة: عن شبابه فيما أبلاه؟ ومن هنا أرشد الإسلام إلى اغتنام مرحلة الشباب بأمرين أساسيّين، ليحسن الإجابة عن ذلك السؤال:

الأوّل: التعلُّم، ففي مرحلة الشباب يترسّخ العلم ويثبت،

(١) الريشهريّ، محمّد، ميزان الحكمة، تحقيق ونشر دار الحديث، ط١، (لا، م)، ١٤١٦، ج٢، ص ١٤٠٠.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٧٤، ص ١٦٥.

وبحسب الحديث النبويّ الشريف: «**من تعلّم في شبابه، كان بمنزلة الرسم في الحجر**»[١].

والعلم المطلوب تحصيله نوعان:

١- نوع يتعلّق بحاجة المجتمع، كالطبّ والهندسة، والبرمجة ونحوها، من الأمور التي أوجبها الإسلام وجوبًا كفائيًّا على الناس حينما تكون مورد حاجة ضروريّة للمجتمع، وفي ضوء ذلك يكون السالك في هذا العلم سائرًا في طريق كماله المنشود.

٢- نوع يتعلّق بالبناء الذاتيّ للإنسان، والذي يكون من خلال المعرفة الدينيّة، وهو ما أشار إليه النبيّ ﷺ بقوله: «**إنّما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة...**»[٢]، والأولى هي علم العقيدة، والثانية علم الفقه، والثالثة علم الأخلاق، فبالعقيدة يعرف طريق كماله ومنتهاه، وبالفقه يتعرّف على قوانين تلك الطريق،

(١) المصدر السابق، ج١، ص ٢٢٢.

(٢) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج١، ص ٣٢.

وبالأخلاق يطّلع على روحيّة السالك.

وفي الأحاديث تشديد وتأكيد على أهميّة تفقّه الشبّان بدينهم حتّى ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**لو وجدت شابًّا من شبّان الشيعة لا يتفقّه لضربته ضربة بالسيف**»[(١)].

وعن هذين النوعين من العلوم ورد عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**العلم علمان: علم الأبدان، وعلم الأديان**»[(٢)].

الثاني: طاعة الله التي تعني التزام الشابّ بتكليفه الشرعيّ في كلّ خطواته، فلا يجده الله تعالى حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره، فإذا كان الشابّ كذلك يصبح حبيبًا لله عزّ وجلّ، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ الله يحبّ الشابّ الذي يفني شبابه في طاعة الله**»[(٣)].

ومن مشاهد الطاعة التي أكّد عليها الإسلام في مرحلة الشباب هو سلوك طريق العبادة لله تعالى، فعن النبيّ

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٤٦.
(٢) الكراجكيّ، أبو الفتح، معدن الجواهر، تحقيق أحمد الحسيني، ط٢، قم، (لا،ن)، ١٣٩٤هـ، ص ٢٥.
(٣) الريشهريّ، محمّد، ميزان الحكمة، ج٢، ص ١٤٠٢.

الأعظم ﷺ: «**فضل الشابّ العابد الذي تعبّد في صباه على الشيخ الذي تعبّد بعدما كبرت سنّه كفضل المرسَلين على سائر الناس**»[١].

السؤال الثالث: عن ماله

المال من مفردات الدنيا البارزة التي أوردت الأحاديث فيها ذمًّا ومديحًا، فالذمّ من قبيل ما ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: «**حبّ المال يوهن الدين، ويفسد اليقين**»[٢]. والمديح من قبيل ما ورد عن حفيده الصادق عليه السلام: «**لا خير في من لا يحبّ جمع المال من حلال يكفّ به وجهه، ويقضي به دينه، ويصل به رحمه**»[٣].

وكلٌّ من هذين الموقفين صحيح؛ لأنّ المال ذاته لا يُذمّ ولا يُمدح، فالمذموم والممدوح هو علاقة الإنسان بالمال، هل هو غاية بنفسه تُعميه عن طريق كماله؟ أو هو وسيلة

(١) المرجع السابق، ص ١٤٠١.
(٢) الواسطي، علي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٣١.
(٣) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٥، ص ٧٢.

تُعينه على سلوك تلك الطريق، وبحسب تعبير الإمام علي عليه السلام عن الدنيا: «**من أبصر بها بصَّرته، ومن أبصر إليها أعمته**»[١]. لذا، ولكي تكون العلاقة بالمال إيجابيّة ركّز الإسلام على موضوعين جعلهما محوري السؤال عن المال يوم القيامة، وهما: من أين اكتسبه؟ وفيمَ أنفقه؟

١- من أين اكتسبه؟

عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا أبا ذرّ، لا يكون الرجل من المتيقّن حتّى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك شريكه، فيعلم من أين مطعمه؟ ومن أين مشربه؟، ومن أين ملبسه؟ أَمِنْ حلٍّ ذلك أم مِنْ حرام**»[٢].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**من لم يبالِ من أيّ باب اكتسب الدينار والدرهم لم أبالِ يوم القيامة من أيّ أبواب النار أدخلته**»[٣].

وللنجاة من هذا الاختبار دعا الإسلام إلى التفقّه في

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٤.

(٢) المصدر السابق، ج٧٤، ص٨٦.

(٣) المفيد، محمّد، الاختصاص، ص٢٤٩.

المسائل المالية مورد الابتلاء، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**يا معشر التجّار، الفقه ثمّ المتجر، الفقه ثمّ المتجر، الفقه ثمّ المتجر**»(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**من أراد التجارة فليتفقّه في دينه، ليعلم بذلك ما يحلّ له ممّا يحرم عليه، ومن لم يتفقّه في دينه، ثمّ اتّجر تورّط في الشبهات**»(٢).

٢- فيمَ أنفقه؟

هل أنفقه في طاعة اللّه تعالى، أو على الأقلّ فيما أباحه اللّه تعالى؟ أو أنفقه في معصية اللّه تبذيرًا أو إسرافًا أو في مقابل الحرام كدفعه إلى المغنّي، وصرفه في القمار، وشراء الخمر به، ونحو ذلك؟

هل أخرج منه الحقوق الشرعيّة كالخمس والزكاة، أو لم يخرجها فيكون ماله شرّ المال، وبحسب التعبير الوارد

(١) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٥، ص ١٥٠.
(٢) المفيد، محمّد، المقنعة، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، قم، ١٤١٠هـ، ص ٥٩١.

عن الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**شرّ الأموال ما لم يخرج منه حقّ الله سبحانه**»[١] ويكون مصيره ما صوّره الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله الوارد عنه: «**إنّ الله تبارك وتعالى يبعث يوم القيامة ناسًا من قبورهم، مشدودة أيديهم إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يتناولوا بها قدر أنملة، والملائكة يعيِّرونهم تعييرًا شديدًا، يقولون: هؤلاء الذين منعوا خيرًا قليلاً من خير كثير، هؤلاء الذين أعطاهم الله، فمنعوا حقّ الله في أموالهم**»[٢].

إنّ من لا يراعي في أمواله حسن الانفاق، قد يكون من أعظم الناس حسرة يوم القيامة، فقد ورد أنّ أحدهم سأل الإمام عليًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ: من أعظم الناس حسرة؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**من رأى ماله في ميزان غيره، فأدخله الله به النار، وأدخل وارثه به الجنّة**»[٣].

(١) الواسطي، علي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٩٤.
(٢) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٣، ص ٥٠٦.
(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٨٩، ص ٢٥١.

إنّ من لا يغتنم نعمة ماله في آخرته سيكون حاله كما صوّره ذلك الشاعر:

أبقيْتَ مـــالَكَ ميــراثًا لوارثه
فليــتَ شِعري ما أبقى لكَ المالُ؟
القومُ بعدكَ في حـــالٍ تسّرُّهُمُ
فكــيفَ بعدَهُمُ حالَتْ بكَ الحالُ؟!
ملُّوا البكاءَ فما يبكيكَ من أحدٍ
واستحكمَ القيلُ في الميراثِ والقالُ
أنستهُمُ العهدَ دنيًا أقبلَتْ لهُـمُ
وأدبـرَتْ عنــــكَ والأيّامُ أحوالُ

رواية معبِّرة

روى الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا كان يوم القيامة وقف عبدان مؤمنان للحساب كلاهما من أهل الجنّة: فقير في الدنيا، وغنيّ في الدنيا، فيقول الفقير: يا ربّ، على ما أوقف؟ فوعزّتك إنّك لتعلم أنّك لم تولّني ولاية فأعدل فيها أو أجور، ولم ترزقني مالاً فأؤدّي منه**

حقًّا أو أمنع، ولا كان رزقي يأتيني منها إلاّ كفافًا على ما علمت وقدرت لي. فيقول الله جلّ جلاله: صدق عبدي، خلّوا عنه يدخل الجنّة. ويبقى الآخر حتّى يسيل منه من العرق ما لو شربه أربعون بعيرًا لكفاها، ثمّ يدخل الجنّة، فيقول له الفقير: ما حَبَسَكَ؟ فيقول: طول الحساب، ما زال الشيء يجيئُني بعد الشيء يغفر لي، ثمّ أُسأل عن شيء آخر، حتّى تغمدني الله عزّ وجلّ منه برحمة، وألحقني بالتائبين فمن أنت؟ فيقول: أنا الفقير الذي كنت معك آنفًا، فيقول: لقد غيّرك النعيم بعدي»[1].

السؤال الرابع: عن حبّنا أهل البيت

ورد عن حنان بن سدير قال: حدّثني أبي قال: «كنت عند جعفر ابن محمّد عليه السلام. فقدّم إلينا طعامًا ما أكلت طعامًا مثله قطّ، فقال عليه السلام لي: **يا سدير، كيف رأيت طعامنا هذا؟** قلت: بأبي أنت وأمّي، يا بن رسول الله، ما أكلت مثله قطّ،

(١) الصدوق، محمّد، الأمالي، ص ٤٤١.

ولا أظنّ آكل أبدًا مثله. ثمّ إنّ عيني تغرغرت، فبكيت فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: **يا سدير، ما يبكيك؟** قلت: يا ابن رسول اللّه، ذكرت آية في كتاب اللّه تعالى. قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: **وما هي؟** قلت: قول اللّه في كتابه: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[(١)] فخفت أن يكون هذا الطعام من النعيم الذي يسألنا اللّه عنه. فضحك حتّى بدت نواجذه، ثمّ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: **يا سدير، لا تسأل عن طعام طيّب، ولا ثوب ليّن، ولا رائحة طيّبة، بل لنا خُلِق، وله خُلقنا، ولنعمل فيه بالطاعة.** قلت له: بأبي أنت وأمّي، يا بن رسول اللّه، فما النعيم؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: **حبّ عليّ وعترته** عَلَيْهِ السَّلَامُ»[(٢)].

وورد عن الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**أوّل ما يُسأل عنه العبد حبّنا أهل البيت**»[(٣)].

(١) سورة التكاثر، الآية ٨.

(٢) الكوفي، فرات، تفسير فرات الكوفي، ط١، طهران، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٠هـ، ص ٦٠٥-٦٠٦.

(٣) الصدوق، محمّد، الأمالي، ج٢، ص ٦٧.

حبُّ أهل البيت عليهم السلام لدى المسلمين

لا يقتصر الاعتقاد بأهمّية حبّ أهل البيت عليهم السلام على مذهب التشيّع، بل هو سار في جميع المذاهب الإسلاميّة، وذلك لكثرة النصوص النبويّة الواردة في ذلك، والتي منها ما ذكره الزمخشريّ والرازيّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من مات على حبّ آل محمّد مات شهيدًا، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفورًا له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّدٍ مات تائبًا، ألا ومن مات على حبّ آل محمّدٍ مات مؤمنًا مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّدٍ بشّره ملك الموت بالجنّة، ثمّ منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمّدٍ يُزفّ إلى الجنّة كما تُزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمّدٍ** صلى الله عليه وآله وسلم **فُتح له في قبره بابان إلى الجنّة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّدٍ جعل اللّه قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّدٍ مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات**

على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله»[١].

ومنها ما رواه أحمد بن حنبل والترمذيّ بأنّ النبيّ ﷺ كان ينظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام ويقول: «**من أحبّني وأحبّ هذين، وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة**»[٢].

وقد كان كبار العلماء يعبِّرون عن عميق حبّهم لأهل البيت عليهم السلام، من قبيل ما أنشده إمام المذهب الشافعيّ بقوله:

يا أهلَ بيتِ رسولِ اللهِ حبُّكُمُ
حبُّ الرسولِ ومَنْ بالحقّ أرسلَهُ
أَجْرُ الرسالةِ عندَ اللهِ ودُّكُمُ
فرضٌ منَ اللهِ في القرآنِ أنزلَهُ
كفاكُمُ من عظيمِ القَدْرِ أنّكُمُ
قد أكملَ الدينَ فيكمْ يومَ أكملَهُ

---

(١) الرازيّ، فخر الدين، تفسير الرازي، ط٣، (لا، م)، (لا،ن)، (لا، ت)، ج٢٧، ص ١٦٦.

(٢) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، (لا، ط)، بيروت، دار صادر، (لا، ت)، ج١، ص ٧٧.

وأنّـــكــمْ بــشــهــاداتِ الــصــلاةِ لكمْ
مَــنْ لم يصلِّ عليكمْ لا صلاةَ لَـهُ[١]

وقوله أيضًا:

يـا راكـبًـا قِـفْ بالمحصَّبِ من مِنًى
واهـتِـفْ بساكنِ خيْفِها والناهضِ
سَـحَـرًا إذا فاض الحجيجُ إلـى منى
فيضًـا كـما نظم الـفـرات الفائض
إن كـــان رفضًا حـــبُّ آل محمّد
فليشهـــدِ الثقلانِ أنّـي رافضي[٢]

معنى السؤال عن حبّهم

إنّ الحبّ هو انجذاب القلب بسبب كمال يراه المحبّ في المحبوب، فإنَّ الإنسان إن رأى في شخصٍ جمالاً أو شجاعة أو عدلاً أو صدقًا ونحو ذلك من الكمالات ينجذب قلبه إليه فيحبّه،

(١) بحر العلوم، محمّد، الفوائد الرجاليّة، ط١، طهران، مكتبة الصادق، ١٣٦٣هـ.ش، ص ٩١.

(٢) ابن عبد البر، يوسف، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، (لا،ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (لا،ت)، ص٩٠.

ومن الواضح أنّ هذا الانجذاب أمر قهريّ، وليس اختياريًّا، فالإنسان لا يمكن أن يقرِّر حبّ إنسان آخر بغضّ النظر عن ما يراه من كمالات فيه، بل الكمالات هي التي تجذبه إليه.

بناءً على ما تقدّم، فما معنى أن يُسأل المسلم يوم القيامة عن حبٍّ أهل البيت؟

وهل يصحّ السؤال عن أمرٍ قهريّ غير اختياريّ؟

والجواب: إنّ السؤال عن حبِّهم يوم القيامة يشير إلى أمرين:

الأوّل: التوجيه إلى تحصيل أسباب الحبّ، فالحبّ وإن كان قهريًّا، إلاّ أنَّ له أسباباً اختياريّة، فمعرفة الكمال سبب لحبّ الكمال، وعليه فالسؤال عن المعرفة يلفت إلى لزوم تحصيل معرفتهم، وبالتالي كمالاتهم التي تجذب قلوب الناس إليهم، لا سيّما أنّهم باب دين اللّه عزّ وجلّ، فمن دون معرفتهم يضلّ الإنسان عن الدين، لذا ورد في الدعاء المأثور: «...**اللهمّ عرّفني حجّتك؛ فإنّك إن لم تعرِّفني حجّتك ضللتُ عن ديني**»[١].

---

(١) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج١، ص ٣٣٧.

الثاني: ترتيب الأثر على هذا الحبّ، وهو ما أراده اللّٰه تعالى بقوله: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[(١)]، رُوي في مورد نزول هذه الآية: أنّ بعض المسلمين سألوا: يا رسول اللّٰه؛ مَنْ قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ فأجاب ﷺ: «**عليّ وفاطمة وابناهما**»[(٢)].

والمودّة في اللغة هي الحبّ المفعَّل من خلال التعبير أو السلوك، فالحبّ المجرّد ليس مودّة، لذا فإنّ السؤال عن الحبّ هو سؤال عن تفعيله من خلال المودّة، من هنا ورد في رواية حنان بن سدير السابقة أنّ الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما سئل عن معنى النعيم قال: «**حبّ عليّ وعترته، يسألهم يوم القيامة كيف كان شكركم لي حين أنعمت عليكم بحبّ عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وعترته**»[(٣)].

---

(١) سورة الشورى، الآية ٢٣.

(٢) الطبرانيّ، سليمان، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، (لا، م)، دار إحياء التراث العربي، (لا، ت)، ج١١، ص ٣٥١.

(٣) الكوفي، فرات، تفسير فرات الكوفي، ط١، طهران، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٠هـ، ص ٦٠٥-٦٠٦.

هل ينفع الحبّ وحده؟

يجنح بعض الناس إلى أنّ حبّ أهل البيت عليهم السلام ينقذ الإنسان، ولو لم يكن عاملاً بأيّة طاعة للّه تعالى، ويستند البعض بحديث مشهور مرويّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**حبّ عليّ حسنة لا تضرّ معها سيّئة**»[1]. فكيف نفهم هذا الحديث؟

يجيب الإمام الخمينيّ قدس سره بأنّ مراجعة سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام في عبادتهم وتضرّعهم ومسكنتهم ووصاياهم التي يحذّرون فيها من معصية اللّه عزّ وجلّ، ويؤكّدون فيها على الابتعاد عن مخالفته سبحانه لحصل له علم قطعيّ بأنّ بعض الروايات التي يتنافى ظاهرها مع تلك الأحاديث لم يكن هذا الظاهر مقصودًا[2].

ويعرض الإمام قدس سره بعضًا من تلك الأحاديث، ثمّ يدخل في التفسير الصحيح للحديث.

---

(١) المفيد، محمّد، أوائل المقالات، تحقيق إبراهيم الأنصاري، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٣٣٥.

(٢) الخميني، روح الله، الأربعون حديثًا، ص ٥٠٥ - ٥٠٦.

فمن تلك الأحاديث:

١- عن الإمام الصادق عَلَيْهِالسَّلَامُ: **«إيّاك والسَّفلةَ، فإنّما شيعةُ عليّ عَلَيْهِالسَّلَامُ من عفَّ بطنُهُ وفرجُهُ، واشتدَّ جهادُهُ، وعملَ لخالقِهِ، ورجا ثوابَهُ، وخافَ عقابَهُ، فإذا رأيتَ أولئك فأولئك شيعةُ جعفرٍ»**[1].

٢- عن الإمام الباقر عَلَيْهِالسَّلَامُ قال: **«لا تذهب بكم المذاهب، فوالله ما شيعتنا إلاّ من أطاع الله عزّ وجلّ»**[2].

٣- عن جابر عن الإمام الباقر عَلَيْهِالسَّلَامُ قال: قال لي: **«يا جابر، أيكتفي من ينتحِلُ التشيُّع أن يقول بحُبّنا أهل البيت عَلَيْهِمُالسَّلَامُ؟ فوالله، ما شيعتنا إلاّ من اتقى الله وأطاعه** - إلى أن قال: **فاتقوا الله، واعملوا لما عند الله، ليس بين الله ولا بين أحدٍ قرابة، أحبُّ العباد إلى الله تعالى وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملُهُم بطاعته. يا جابرُ، والله ما نتقرّبُ إلى الله تعالى إلاّ بالطاعة، ما معنا براءة من**

---

(١) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٢، ص ٢٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٣.

النار، ولا على الله لأحدٍ من حجةٍ، من كان لله مطيعًا فهو لنا وليّ، ومن كان لله عاصيًا فهو لنا عدوّ، وما تُنالُ ولايتُنا إلاّ بالعمل والورع»[١].

تفسير الحديث

يؤكّد الإمام الخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ أنّه لا يصحّ تجاوز مثل هذه الأحاديث، وكذا سيرة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في تفسير رواية «**حبّ عليّ حسنة لا تضرّ معها سيّئة**»[٢]، وعليه طرح في تفسير هذا الحديث احتمالان:

الأوّل: أنّ المقصود هو الخلود في النار، أو الدخول إليها، وذلك اعتمادًا على ما ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**والله ما أخاف عليكم إلاّ البرزخ، فأمّا إذا صار الأمر إلينا، فنحن أولى بكم**»[٣].

الثاني: أنّ حبّ عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الحقيقيّ يبعث نورًا وإيمانًا

(١) المصدر السابق، ص ٧٥.
(٢) المفيد، محمّد، أوائل المقالات، ص ٣٣٥.
(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص ٢١٤.

يجنِّبان صاحبهما الآثامَ، ويدفعانه إلى التوبة إذا ابتلي بالمعصية، وعليه فلا يتمادى في الغيّ والعصيان[١].

تعقيبًا على ما مرَّ قال الإمام الخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ:

«فيا أيها العزيز، لا يغرنّك الشيطان، ولا تخدعنّك الأهواء النفسيّة، ومن المعلوم أنّ الإنسان الخامل المبتلي بالشهوات وحبّ الدنيا والجاه والمال مثل الكاتب يبحث عن مبرّر على خموله، ويقبل على كلّ ما يوافق شهواته، ويدعم رغباته النفسيّة وأوهامه الشيطانيّة، وينفتح بكلّ وجوده على مثل هذه الأخبار، من دون أن يفحص عن مغزاها، أو يتأمّل في الأخبار الأخرى التي تعارضها وتقابلها. إنّ هذا المسكين يظنّ أنّ مجرّد ادعاء التشيّع وحبّ التشيّع وحبّ أهل بيت الطهارة والعصمة، يسوّغ له- والعياذ بالله- اقتراف كلّ محرّم من المحظورات الشرعيّة، ويرفع عنه قلم التكليف. إنّ هذا السيِّئ الحظ لم ينتبه

---

(١) الخميني، روح الله، الأربعون حديثًا، ص٥١٠.

بأنّ الشيطان قد ألبس الأمر عليه، ويُخشى عليه في نهاية عمره أن تُسلب منه هذه المحبّة الجوفاء التي لا تجدي ولا تنفع، ويُحشر يوم القيامة صفر اليدين»[١].

(١) المرجع السابق، ص٥١١ - ٥١٢.



الشفاعة

قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[1].

يُحشر المتّقون يوم القيامة إلى الرحمن وفدًا، وينجو التائبون من شهادة الملائكة والأرض والجوارح، ويبقى العاصون في ذلك المحشر المهيب ينتظرون مصيرهم، فالذنوب ثابتة في كتاب الأعمال، والشهود حاضرون للإدلاء بما علموا، والموازين خفيفة من الصالحات.

فهل من أمل في النجاة من عذاب اللّه؟

يحدّثنا القرآن الكريم والأحاديث الشريفة عن ذلك الأمل بعنوان «**الشفاعة**» المأخوذة من الشفع وهو بمعنى الزوج

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٨.

المقابل للوتر والفرد، قال الراغب الأصفهانيّ: «**الشفع ضمّ الشيء إلى مثله**»[١]، فالشفاعة تعني تدخّلاً يمثّل ضميمة إلى ما عند الإنسان من إيجابيّات لينال الخير المنشود، وبعبارة أخرى: إنّ الشفاعة تعني انضمام الفرد الأقوى إلى الفرد الأضعف لمساعدته إمّا في إزالة نقاط الضعف، أو لزيادة نقاط القوّة[٢].

أنواع الشفاعة

وقد أورد القرآن نوعين من الشفاعة:

الأولى: شفاعة باطلة تتضمّن معنى الشرك، من قبيل قول المشركين عن الأصنام: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[٣].

وبطلان هذه الشفاعة واضح؛ باعتبار أنّ المشركين اعتقدوا أنّ في الأصنام تدبيرًا وتأثيرًا مستقلًّا عن الله تعالى، بحيث إنّهم يؤثّرون فيه سبحانه، وهذا خلاف التوحيد، بل إنّ القرآن الكريم أنكر كلّ شفاعة مستقلّة عنه

(١) الراغب الأصفهانيّ، الحسين، المفردات، ص ٢٦٣.
(٢) أنظر: الشيرازيّ، ناصر مكارم، الأمثل، ج١، ص ٢٠٨.
(٣) سورة يونس، الآية ١٨.

عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾[1].

الثانية: شفاعة صحيحة، وهي شفاعة اللّه عزّ وجلّ، قال عزّ وجلّ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾[2].

وشفاعة اللّه تعالى من عدّة مصادر:

أ- شفاعة بعض صفاته، كتوسّط الرحمة والمغفرة بينه وبين عبده المذنب لإنجائه من العذاب[3]، وتطبيقًا لما مرّ من كون الشفاعة تعني الضميمة إلى أمر موجود نعرض روايتين تُحدِّثاننا عن سبب رحمة اللّه تعالى يوم القيامة.

الأولى: تتحدّث عن كون السبب هو حُسن الظنّ باللّه تعالى، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**يؤتى بعبد يوم القيامة ظالم لنفسه فيقول اللّه له: أَلَمْ آمرك**

(١) سورة البقرة، الآية ٤٨.

(٢) سورة الزمر، الآية ٤٤.

(٣) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج٢٧، ص ١٧.

بطاعتي؟ أَلَـمْ أنهك عن معصيتي؟ فيقول: بلى يا ربّ، ولكن غلبت عليّ شهوتي، فإن تعذّبني فبذنبي لم تظلمني، فيأمر الله به إلى النار، فيقول: ما كان هذا ظنّي بك، فيقول: ما كان ظنّك بي؟ قال: كان ظنّي بك أحسن الظنّ، فيأمر الله به إلى الجنّة، فيقول الله تبارك وتعالى: لقد نفعك حسن ظنّك بي الساعة»[1].

الثانية: تتحدّث عن كون السبب هو ستر العاصي لذنبه، ففي الحديث القدسيّ حول الخاطئ الذي أخفى خطيئته عن الناس: «**عبدي قد ستر ذنبه عن أبناء جنسه: لقلّة ثقته بهم، والتجأ إليّ، لعلّه يتبعه رحمتي، اشهدوا أنّي قد غفرتها له لثقته برحمتي، فإذا كان يوم القيامة، وأوقف للعرض والحساب يقول: عبدي، أنا الذي سترتها عليك في الدنيا، وأنا الذي أسترها عليك اليوم**»[2].

ب- شفاعة المأذون لهم من الذين ارتبطوا بالله تعالى من خلال عهد الإيمان، قال تعالى: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٧، ص ٢٨٨.
(٢) المصدر السابق، ج٢٢، ص ٤٥٠.

﴿ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾[١] فهؤلاء يأذن الله تعالى لهم بالشفاعة، يقول تعالى:

- ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾[٢].
- ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾[٣].
- ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[٤].

الشفعاء يوم القيامة

وقد صرّح الكتاب العزيز بأنّ الشفاعة المأذون بها تُعطى لأصناف منهم:

١- الملائكة: قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾[٥].

٢- الشهداء بالحقّ، قال تعالى: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[٦].

---

(١) سورة مريم، الآية ٨٧.
(٢) سورة طه، الآية ١٠٩.
(٣) سورة سبأ، الآية ٢٣.
(٤) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.
(٥) سورة النجم، الآية ٢٦.
(٦) سورة الزخرف، الآية ٨٦.

ولا شكّ أنّ من الذين يشهدون بالحقّ الأنبياء والأوصياء، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ثلاثة يشفعون إلى الله يوم القيامة فيشفّعهم: الأنبياء ثمّ العلماء ثمّ الشهداء**»(١).

ويفسِّر بعض العلماء هذا الحديث بأنّ شفاعة هذه الأصناف الثلاثة تنبع من دورهم في هداية الناس، فالأنبياء يشفعون لمن اهتدوا بهدايتهم، وكذا العلماء، وهو ما يؤكّده ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا كان يوم القيامة بعث الله العالم والعابد، فإذا وقفا بين يدي الله عزّ وجلّ قيل للعابد: انطلق إلى الجنّة، وقيل للعالم: قف تشفّع للناس بحسن تأديبك لهم**»(٢). وكذلك الشهداء يشفعون بسبب هدايتهم للناس، إلاّ أنّ هدايتهم قد تنحصر بهداية دمائهم.

لمن يشفع هؤلاء؟

يجيب القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾(٣).

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٩٧، ص ١٢.

(٢) الصدوق، محمّد، علل الشرائع، (لا، ط)، النجف الأشرف، المكتبة الحيدريّة، ١٣٨٦هـ، ج٢، ص ٣٩٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٢٨.

من هؤلاء الذين ارتضى اللّه؟

ورد عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّما شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي، فأمّا المحسنون فما عليهم من سبيل**»[١].

ورد عن ابن عمير عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام عن الإمام عليّ عليه السلام قال: «**سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي...**» سأل ابن أبي عمير الإمام الكاظم عليه السلام: يا بن رسول اللّه، كيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر، واللّه يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾، ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضًى به؟ فقال عليه السلام: يا أبا أحمد، ما من مؤمنٍ يرتكب ذنبًا إلاّ ساءه ذلك، وندم عليه، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كفى بالندم توبة...ومن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن، ولم تجب له الشفاعة، وكان ظالمًا، واللّه تعالى ذكره يقول: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[٢]»[٣].

وفي السياق نفسه ورد في كتاب الكافي عن الإمام جعفر

(١) الصدوق، محمّد، الآمالي، ص ٥٦.
(٢) سورة غافر، الآية ١٨.
(٣) الشيرازيّ، ناصر، الأمثل، ج١، ص ٢٠٥.

الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في رسالة كتبها إلى أصحابه، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«من سرّه أن تنفعه شفاعة الشافعين عند الله، فليطلب إلى الله أن يرضى عنه»**[١].

نماذج من شفاعة الشافعين:

١- شفاعة النبيّ محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿...عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[٢]، عن الإمام أبي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«يقوم الناس يوم القيامة مقدار أربعين عامًا، وتؤمر الشمس فتركب على رؤوس العباد، ويلجم العرق، وتؤمر الأرض لا تقبل من عرقهم شيئًا، فيأتون آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيستشفعون منه، فيدلّهم على نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويدلّهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويدلّهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويدلّهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويدلّهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقول: عليكم بمحمّد خاتم البشر، فيقول محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أنا لها. فينطلق حتّى يأتي باب الجنّة، فيدقّ، فيقال له: من هذا؟**

---

(١) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٨، ص ١١.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٧٩.

والله أعلم، فيقول: محمّد ﷺ، فيقال: افتحوا له، فإذا فتح الباب استقبل ربّه[(١)] فخرّ ساجدًا، فلا رفع رأسه حتّى يُقال له: تكلّم وسل تعطَ، واشفع تشفَّع، فيرفع رأسه، ويستقبل ربّه فيخرّ ساجدًا، فيُقال له مثلها، فيرفع رأسه حتّى إنّه ليشفع من قد أُحرق بالنار. فما أحد من الناس يوم القيامة في جميع الأمم أوجه من محمّد ﷺ، وهو قول الله تعالى: ﴿... عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[(٢)]»[(٣)].

قال السيّد الطباطبائيّ قُدِّسَ سِرُّهُ في ذيل نقله لهذا الحديث: «أقول: وهذا المعنى مستفيض مرويٌّ بالاختصار والتفصيل بطرق متعدِّدة من العامّة والخاصّة، وفيها دلالة على كون المقام المحمود في الآية هو مقام الشفاعة، ولا ينافي ذلك كون غيره ﷺ من الأنبياء وغيرهم جائز الشفاعة؛ لإمكان كون شفاعتهم فرعًا لشفاعته فافتتاحها بيده ﷺ»[(٤)].

(١) المراد استقبال الحضرة الإلهيّة، لا بمعنى التجسيم، وأنّ الله تعالى في مكان فإنّ الله تعالى منزّه عن ذلك.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٧٩.

(٣) المجلسي، محمد باقر، ج٨، ص٤٨ - ٤٩.

(٤) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج١٣، ص ١٧٢.

٢- شفاعة الإمام عليّ عليه السلام

عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «أما إنّ من شيعة عليّ عليه السلام لمن يأتي يوم القيامة وقد وضع له في كفّة سيّئاته من الآثام ما هو أعظم من الجبال الرواسي والبحار السيَّارة، تقول الخلائق: هلك هذا العبد، فلا يشكّون أنّه من الهالكين، وفي عذاب الله من الخالدين، فيأتيه النداء من قِبَلِ الله تعالى: يا أيها العبد الجاني هذه الذنوب الموبقات، فهل بإزائها حسنة تكافئها، وتدخل الجنة برحمة الله، أو تزيد عليها فتدخلها بوعد الله؟ يقول العبد: لا أدري، فيقول منادي ربِّنا عزّ وجلّ: إنّ ربّي يقول: نادِ في عرصات القيامة: ألا إنّ فلان بن فلان، من بلد كذا وكذا، وقرية كذا وكذا، قد رُهِن بسيّئاته كأمثال الجبال والبحار، ولا حسنة بإزائها، فأيّ أهل هذا المحشر كانت لي عنده يد أو عارفة فليغثني بمجازاتي عنها، فهذا أوان شدّة حاجتي إليها، فينادي الرّجل بذلك، فأوّل من يجيبه عليّ بن أبي طالب عليه السلام: لبّيك لبّيك لبّيك أيّها المُمتَحَن في محبَّتي، المظلوم بعداوتي، ثمّ يأتي هو ومن معه عدد كثير وجمّ غفير،

وإن كانوا أقلّ عددًا من خصمائه الذين لهم قبله الظلامات، فيقول ذلك العدد: يا أمير المؤمنين، نحن إخوانه المؤمنون، كان بنا بارًّا ولنا مُكرمًا، وفي معاشرته إيّانا مع كثرة إحسانه إلينا متواضعًا، وقد نزلنا له عن جميع طاعاتنا وبذلناها له، فيقول عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فبماذا تدخلون جنّة ربّكم؟ فيقولون: برحمة الله الواسعة التي لا يعدمها من والاك ووالى آلك يا أخا رسول الله، فيأتي النداء من قبل الله تعالى: يا أخا رسول الله، هؤلاء إخوانه المؤمنون، قد بذلوا له، فأنت ماذا تبذل له؟ فإنّي أنا الحَكَم، ما بيني وبينه من الذنوب قد غفرتها له بموالاته إيّاك، وما بينه وبين عبادي من الظلامات، فلا بدّ من فصلي بينه وبينهم، فيقول عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا ربّ، أَفْعَلُ ما تأمرني، فيقول الله: يا عليّ، اضمن لخصمائه تعويضهم عن ظلاماتهم قبله، فيضمن لهم عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك ويقول لهم: اقترحوا عليّ ما شئتم أعطكم عوضًا من ظلاماتكم قِبَلَهَ، فيقولون: يا أخا رسول الله، تجعل لنا بإزاء ظلامتنا قِبَلَهَ ثواب نَفَس من أنفاسك ليلة بيتوتتك على فراش محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،

فيقول عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قد وهبت ذلك لكم، فيقول الله عزّ وجلّ: فانظروا يا عبادي الآن إلى ما نلتموه من عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فداء لصاحبه من ظلاماتكم، ويظهر لهم ثواب نَفَس واحد في الجنان من عجائب قصورها وخيراتها، فيكون ذلك ما يرضي الله به خصماء أولئك المؤمنين، ثمّ يريهم بعد ذلك من الدرجات والمنازل ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على بال بشر، يقولون: يا ربّنا، هل بقي من جنانك شيء؟ إذا كان هذا كلّه لنا، فأين تحلّ سائر عبادك المؤمنين والأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين؟ ويخيّل إليهم عند ذلك أنّ الجنة بأسرها قد جُعلت لهم، فيأتي النداء من قِبَلِ الله تعالى: يا عبادي، هذا ثواب نَفَس من أنفاس عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي اقترحتموه عليه، قد جعله لكم، فخذوه وانظروا، فيصيرون هم وهذا المؤمن الذي عوّضه عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في تلك الجنان، ثمّ يرَون ما يضيفه الله عزّ وجلّ إلى ممالك عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في الجنان ما هو أضعاف ما بذله عن وليّه الموالي له ممّا شاء من الأضعاف التي لا يعرفها غيره. ثمّ قال رسول الله

ﷺ: أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقّوم المعدّة لمُخالفي أخي ووصيي عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟»[١].

٣- شفاعة السيّدة الزهراء عليها السلام

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة... ينادي المنادي، وهو جبرئيل عليه السلام: يا أهل الجمع طأطئوا الرؤوس وغضّوا الأبصار؛ فإنّ هذه فاطمة عليها السلام تسير إلى الجنّة، فيأتيها جبرئيل بناقة من نوق الجنّة...، فتناخ بين يديها فتركبها، فيبعث الله مائة ألف ملك ليسيروا عن يمينها، ويبعث إليها مائة ألف ملك ليسيروا عن يسارها، ويبعث إليها مائة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم حتّى يصيّروها على باب الجنّة، فإذا صارت عند باب الجنّة تلتفت، فيقول الله: يا بنت حبيبي، ما التفاتك، وقد أمرت بك إلى جنّتي؟ فتقول عليها السلام: يا ربّ، أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا بنت حبيبي،

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٨، ص ٦١.

ارجعي فانظري من كان في قلبه حبّ لك أو لأحد من ذريّتك خذي بيده فأدخليه الجنّة، قال أبو جعفر عليه السلام: والله يا جابر، إنّها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبّيها كما يلتقط الطير الحبّ الجيِّد من الحبّ الرديء، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنّة يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا، فإذا التفتوا يقول الله: يا أحبّائي، ما التفاتكم وقد شفّعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟! فيقولون: يا ربّ، أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا أحبّائي، ارجعوا وانظروا مَنْ أحبّكم لحبّ فاطمة عليها السلام، انظروا مَنْ أطعمكم لحبّ فاطمة عليها السلام، انظروا مَنْ كساكم لحبّ فاطمة عليها السلام، انظروا مَنْ سقاكم شربة في حبّ فاطمة عليها السلام، انظروا مَنْ ردّ عنكم غيبة في حبّ فاطمة عليها السلام، فخذوا بيده، وأدخلوه الجنّة»[1].

---

(١) المصدر السابق، ص ٥١-٥٢.



الصراط

الصراط المستقيم

ذكر القرآن الكريم مصطلح الصراط المستقيم في عدّة آيات، منها:

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[١].

﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[٢].

﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾[٣].

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾[٤].

---

(١) سورة الفاتحة، الآية ٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠١.

(٣) سورة يس، الآية ٦١.

(٤) سورة الشورى، الآية ٥٣.

المراد من الصراط في هذه الآيات هو الطريق الموصل إلى اللّه تعالى، وبعبارة أخرى للكمال الإنسانيّ، وقد استعمل القرآن الكريم كلمة «**السبيل**» أيضًا للدلالة على تلك الطريق، إلاّ أنّه ميّز الصراط من السبيل بميزتين:

الأولى: أنّ كلمة الصراط في جميع الآيات القرآنيّة لم تُستعمل إلاّ في الطريق المؤدّية إلى اللّه تعالى، بينما كلمة السبيل استعملت في معنى الطريق التي تؤدّي إلى غير اللّه تعالى كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾[1].

الثاني: أنّ لفظ السبيل ورد في القرآن الكريم بصيغة الجمع، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[2]، بينما لم ترد كلمة الصراط فيه إلاّ مفردة.

وقد استفاد الشهيد الشيخ مرتضى المطهّري من هذا التمايز بين الصراط والسبيل أنّ سبيل اللّه هو الطريق

(١) سورة النساء، الآية ٧٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

الفرعيّ نحو الهدف الإلهيّ، بينما الصراط هو الطريق الرئيسيّ التي تصبّ فيها تلك السبل[1].

صراط الآخرة

ورد في روايات الشيعة وأهل السّنّة مصطلح الصراط عنوانًا لجسر يُقام يوم القيامة بين الدنيا والآخرة فوق جهنّم أو على حافّتها، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «... **الصراط... هو جسر جهنّم في الآخرة**»[2]. وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: «**هو أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف، فمنهم من يمرّ عليه ماشيًا. ومنهم من يمرّ عليه حبوًا، ومنهم من يمرّ عليه متعلّقًا، فتأخذ النار منه شيئًا، وتترك منه شيئًا**»[3].

وانطلاقًا من موقع الصراط في الآخرة فُسِّر قوله تعالى:

---

(١) المطهّري، مرتضى، معرفة القرآن، ترجمة الخليلي، (لا، ط)، بيروت، دار التعارف، (لا، ت)، ص ١٥٥.

(٢) المشهديّ، محمّد رضا، كنز الدقائق، تحقيق حسين درگاهي، ط١، (لا، م)، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤٠٧هـ، ج١، ص ٦٩.

(٣) المشهديّ، محمّد رضا، كنز الدقائق، ج١، ص ٦٩.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[(١)]، فالورود يعني الحضور والإشـراف، ولا يعني الدّخول، فمعنى ورد الماء أي أشرف عليه[(٢)]، ومن هذا قوله تعالى في قصّة كليم اللّه موسى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾[(٣)]. وعليه فورود جهنّم هو الإشراف عليها من خلال العبور على الصراط[(٤)].

عقبات الصراط

من أسباب اختلاف سير الناس على الصراط هو تلك العقبات أو الحواجز التي قد تمنع من اجتيازه بسلام، قال الشيخ المفيد: «**العقبات عبارة عن الأعمال الواجبات، والمسألة عنها، والموافقة عليها**»[(٥)]. وقد وردت عناوين

(١) سورة مريم، الآية ٧١.
(٢) الزبيديّ، محمّد، تاج العروس من جواهر القاموس، (لا. ط)، بيروت، دار مكتبة الحياة، (لا.ت)، ج٥، ص ٣٠٩.
(٣) سورة القصص، الآية ٢٣.
(٤) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج١٤، ص ٩٤.
(٥) المفيد، محمّد، تصحيح اعتقادات الإماميّة، ص ١١٢.

هذه العقبات في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام، وهي: «**الصراط أدقّ من الشعرة، وأحدّ من السيف، عليها ثلاث قناطر، فأمّا واحدة فعليها الأمانة والرَّحِم، وأمّا ثانيتُها فعليها الصلاة، وأمّا الثالثة فعليها عدل ربّ العالمين لا إله غيره**»[1].

العقبة الأولى: الرحِم والأمانة

عن هذه العقبة ورد عن الصحابيّ الجليل أبي ذرّ (رض): سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**حافّتا الصراط يوم القيامة الرحِم والأمانة، فإذا مرَّ الوصول للرحم، المؤدّي للأمانة نفذ إلى الجنّة، وإذا مرَّ الخائن للأمانة، القَطوع للرحم لم ينفعه معهما عمل، وتكفأ به الصراط في النار**»[2].

العقبة الثانية: الصلاة

عن هذه العقبة ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «**يكلّفون**

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٨، ص ٦٥.

(٢) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٢، ص ١٥٢.

الممرّ عليها، فتحبسهم الرحم والأمانة، فإن نجوا منها حبستهم الصلاة...»[١].

العقبة الثالثة: المرصاد

وهي عقبة عدل ربّ العالمين، وقد قال تعالى عنها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[٢]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**المرصاد قنطرة لا يجوزها عبد بمظلمة**»[٣].

ومعنى المرصاد في اللغة: الموضع الذي يُرصَد الناس فيه، وقيل: إنّه الطريق التي يُرصد فيها العدوّ[٤] أي يراقَب، والقنطرة هي الجسر، والمظلمة هي ما تطلبه عند الظالم ممّا أخذه منك[٥].

ولأهمّيّة عقبة المرصاد تكرّر ذكره في العديد من

(١) المصدر السابق، ج٨، ص ٣١٢.
(٢) سورة الفجر، الآية ١٤.
(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٨، ص ٦٤.
(٤) ابن منظور، محمّد، لسان العرب، (لا.ط)، بيروت، دار صادر، (لا.ت)، ج٣، ص ١٧٨.
(٥) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٧٢، ص ٣٢٣.

الأدبيّات الـواردة عن أهـل البيت عليهم السلام فعن الإمـام عليّ عليه السلام: «**ولئن أمهل الله الظالم فلن يفوت أخذه، وهو له بالمرصاد**»[1]، وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: «**وارزقني فوز المعاد، وسلامة المرصاد**»[2]. وفي زيارة الإمام الحجّة عليه السلام: «**أشهد يا مولاي...أنّ الصراط حقّ، وأنّ المرصاد حقّ**»[3].

ما يساعد في المضيّ على الصراط

ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**...رأيت رجلاً من أمّتي على الصراط يرتعد كما ترتعد السعفة في يوم ريح عاصف، فجاء حُسن ظنّه بالله، فسكّن روعته ومضى على الصراط، ورأيت رجلاً من أمّتي على الصراط يزحف أحيانًا، ويحبو أحيانًا، ويتعلّق أحيانًا، فجاءته صلاتُه عليَّ،**

(١) المصدر السابق، ج٣٤، ص ٨١.
(٢) ابن الحسين، الإمام علي، الصحيفة السجادية، ص ٩٨.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص ٩٤.

فأقامته على قدميه، ومضى على الصراط...»[١].

بين الصراط المستقيم وصراط الآخرة

تقدّم أنّ الصراط المستقيم الوارد في القرآن الكريم هو الطريق الموصل إلى اللّه تعالى، وقد هدى اللّه تعالى وأرشد إليه الناس في رسالاته السماويّة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[٢]، فـ«**تهدي**» المتعدِّية إلى «**صراط**» بوساطة «إلى» تعني الإرشاد والإراءة، وهذا يحصل لعموم الناس، إلاّ أنّ المؤمن يطلب من اللّه تعالى أكثر من إرشاده إلى الصراط، ألا وهو إدخاله في الصراط، لذا علّمنا اللّه تعالى أن ندعوه: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[٣]، بدون «إلى»، أي أدخلنا فيه بهدايتك الخاصّة، بعد أن أرشدتنا إليه بهدايتك العامّة.

---

(١) الصدوق، محمّد، الأمالي، ص ٣٠٢.
(٢) سورة الشورى، الآية ٥٢.
(٣) سورة الفاتحة، الآية ٦.

الطرق الثلاث

وهذا الصراط هو طريق اللّٰه تعالى من أسفل إلى أعلى، فقد حدّثنا القرآن الكريم عن ثلاثة طرق:

١- طريق من أسفل إلى أعلى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾[١].

فلولا وجود طريق من أسفل إلى أعلى لا معنى لفتح أبواب السماء لأهل الأرض.

٢- طريق من أعلى إلى أسفل، قال تعالى: ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴾[٢]، فالهوي هو السقوط من الأعلى إلى الأسفل.

٣- طريق ضلال، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[٣].

والطريق الأوّل من الأسفل إلى الأعلى هو الصراط

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٤٠.

(٢) سورة طه، الآية ٨١.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٠٨.

المستقيم، وبما أنّ الحبل هو وسيلة مستقيمة للصعود من أسفل إلى أعلى، فقد عبّر القرآن الكريم عن الصراط المستقيم بالحبل، قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾[(١)]. وعليه فالمطلوب في عبور الصراط التمسّك بالحبل، وحين حصول ذلك تتحقّق الهداية الخاصّة؛ لأنّ الصراط مأخوذ في اللغة من قولهم «سرط الطعام» أي بلع، والبلع يحصل بجذب الشيء لذا أُطلق السراط على الطريق باعتباره يبلغ سالكه[(٢)]، فيكون محصّل الكلام أنّ عليكم، أيّها المؤمنون، أن تتمسّكوا بحبل اللّه تعالى، واللّه عزّ وجلّ يجذبكم إليه بهدايته الخاصّة.

من هم حبل اللّه؟

واللافت في هذا الأمر ما ورد عن النبيّ ﷺ في تعبيره عن القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام بقوله: «...**إنّي مخلّف فيكم الثقلين: الثقل الأكبر القرآن، والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي، هما حبل اللّه ممدود بينكم وبين اللّه**

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

(٢) الراغب الأصفهانيّ، الحسين، المفردات، ص ٢٣٠.

عزّ وجلّ، ما إن تمسّكتم به لم تضلّوا، سبب منه بيد اللّه، وسبب بأيديكم»[١].

وبناءً على هذا الحديث فالصراط المستقيم، وهو حبل اللّه، يتمثّل بالقرآن الكريم، وعترة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فمن تمسّك بهما جذبه اللّه تعالى إليه بجذبة الهداية الخاصّة، فالكتاب العزيز هو صراط اللّه عزّ وجلّ، وأئمّة الهدى هم صراط اللّه تعالى. وهذا ما أكّدته الأحاديث الواردة عنهم عليهم السلام فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**أنا صراط الله المستقيم، وعروته الوثقى التي لا انفصام لها**»[٢].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**الصراط المستقيم أمير المؤمنين**»[٣].

(١) النعمانيّ، ابن أبي زينب، الغيبة، تحقيق فارس حسون كريم، ط١، قم، أنوار الهدى، ١٤٢٢هـ، ص ٥٠.

(٢) المفيد، محمّد، تصحيح اعتقادات الإماميّة، تحقيق حسين دركاهي، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ، ص ١٠٨.

(٣) الصدوق، محمّد، معاني الأخبار، (لا، ط)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٧٩هـ، ص ٣٢.

وعن الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**نحن أبواب الله ونحن الصراط المستقيم**»[١].

صراطان

في سياق ما تقدّم ورد عن المفضّل بن عمر، قال: سألت أبا عبد الله عن الصراط، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجلّ، وهما صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، وأمّا الصراط في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا، واقتدى بهداه مرَّ على الصراط الذي هو جسر جهنّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلَّت قدمه عن الصراط في الآخرة، فتردّى في نار جهنّم**»[٢].

وهذا ما يتوافق مع ما ورد عن النبيّ الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في قوله لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**يا عليّ، إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط، فلم يجز أحد إلاّ من كان**

(١) المصدر، السابق، ص ٣٥.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢.

معه كتاب فيه براءة بولايتك»[(١)].

الصراط المستقيم هو الاعتدال في الاعتقاد

يوضِّح الإمام عليّ عليه السلام في حديثٍ رواه الشيخ الصدوق أنّ الصراط المستقيم هو طريق الاعتدال، يقول عليه السلام: **«الصراط المستقيم هو صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، وأمّا الصّراط المستقيم في الدنيا، فهو ما قصر عن الغلوّ، وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل، وأمّا الطريق الآخر، فهو طريق المؤمنين إلى الجنّة الذي هو مستقيم لا يعدلون عن الجنّة إلى النار، ولا إلى غير النار سوى الجنّة»[(٢)].**

والحمد الله ربّ العالمين

(١) المصدر نفسه، ص ٣٦.

(٢) م.ن، ص ٣٣.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

ـ أ ـ

الأنصاري، مرتضى:

٢. المكاسب، تحقيق لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، ط١، قمّ، المؤتمر العالمي، ١٤١٥هـ.

ابن حنبل، أحمد:

٣. مسند أحمد بن حنبل، (لا، ط)، بيروت، دار صادر، (لا، ت).

٤. ابن عبد البر، يوسف، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، (لا،ت)، بيروت، دار الكتب العلمية، (لا.ت).

ابن منظور، محمّد:

٥. لسان العرب، (لا.ط)، بيروت، دار صادر، (لا.ت).

-ب-

البحراني، هاشم:

٦. البرهان في تفسير القرآن، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، (لا، ط)، قمّ، (لا، ن)، (لا، ت).

البسهوديّ، محمّد:

٧. مصباح الأصول، ط٥، قمّ، مكتبة الداوي، ١٤١٧هـ.

بركات، أكرم:

٨. نداء الرحيل، ط ٨، بيروت، دار السراج، ٢٠١٣م.

بحر العلوم، محمّد:

٩. الفوائد الرجاليّة، ط١، طهران، مكتبة الصادق، ١٣٦٣هـ. ش.

-د-

الديلميّ، الحسن:

١٠. إرشاد القلوب، ط٢، قم، انتشارات الشريف الرضيّ، ١٤١٥هـ.

-ر-

الراغب الأصفهانيّ، الحسين:

١١. المفردات، ط٢، (لا، م)، دفتر نشر الكتاب، ١٤٠٤هـ.

الريشهريّ، محمّد:

١٢. ميزان الحكمة، تحقيق ونشر دار الحديث، ط١، (لا، م)، ١٤١٦هـ.

الرازي، فخر الدين:

١٣. التفسير الكبير، ط٣، (لا، م)، (لا،ن)، (لا، ت)،

-ز-

الإمام زين العابدين، علي

١٤. الصحيفة السجادية، تحقيق الأبطحي، قمّ، مؤسّسة الإمام المهديّ، ١٤١١هـ.

الزبيديّ، محمّد:

١٥. تاج العروس من جواهر القاموس، (لا. ط)، بيروت، دار مكتبة الحياة، (لا.ت).

-ش-

الشيرازيّ، ناصر مكارم:

١٦. الأمثل في تفسير القرآن، ط٢، قمّ، مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، (لا، ت).

الشريف الرضيّ:

١٧. نهج البلاغة للإمام عليّ عليه السلام ط١، قمّ، دار الذخائر، ١٤١٢هـ.

الشاهروديّ، عليّ:

١٨. مستدرك سفينة البحار، تحقيق حسن بن علي النمازي، قمّ، مؤسّسة النشر، ١٤١٨هـ.

الشيرازيّ، صدر الدين:

١٩. أسرار الآيات، (لا، ط)، (لا، م)، انجمن، ١٤٠٢هـ.

-ح-

الحلّي، جعفر:

٢٠. المعتبر، (لا، ط)، قمّ، مؤسّسة سيّد الشهداء، (لا، ت).

الحلّي، الحسن

٢١. منتهى الطلب، (لا، ط)، (لا، م)، (لا،ن)، (لا، ت).

-خ-

الخمينيّ، روح الله:

٢٢. الأربعون حديثًا، (لا، ط)، بيروت، دار التعارف، ١٤١١هـ.

المكاسب المحرّمة، قمّ، مهر، ١٣٨١هـ.

الخراسانيّ، محمّد كاظم:

٢٣. كفاية الأصول، (لا، ط)، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، (لا، ت).

-ص-

الصدوق، محمّد:

٢٤. المقنّع، (لا، ط)، مؤسّسة الإمام الهادي، ١٤١٥هـ.

٢٥. الخصال، تحقيق عليّ الغفاريّ، (لا، ط)، قمّ، جماعة المدرّسين،١٤٠٣هـ.

٢٦. الأمالي، ط١، قم، مؤسّسة البعثة، ١٤١٧هـ.

٢٧. ثواب الأعمال، ط٢، قمّ، منشورات الشريف الرضيّ، ١٣٦٨هـ.ش.

٢٨. علل الشرائع، (لا، ط)، النجف الأشرف، المكتبة الحيدريّة، ١٣٨٦هـ.

٢٩. معاني الأخبار، (لا، ط)، قمّ، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٣٧٩هـ.

٣٠. عيون أخبار الرضا عليه السلام، (لا، ط)، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ١٤٠٤هـ.

-ط-

الطوسيّ، محمّد:

٣١. الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة، ط١، قمّ، دار الثقافة، ١٤١٤هـ.

٣٢. التبيان، تحقيق أحمد قصير، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ط١، ١٤٠٩هـ.

٣٣. مصباح المتهجّد، ط١، بيروت، مؤسّسة فقه الشيعة، ١٤١١هـ.

٣٤. تجريد الاعتقاد، تحقيق محمّد جواد الحسين الجلالي، ط١، قمّ، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤٠٧هـ.

الطوسيّ، نصير الدين:

٣٥. تلخيص المحصّل، ط٢، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٥م.

الطباطبائيّ، محمّد حسين:

٣٦. الميزان في تفسير القرآن، ط٥، بيروت، الأعلمي، ١٩٨٣م.

الطبرسيّ، أحمد:

٣٧. الاحتجاج، (لا، ط)، النجف الأشرف، دار النعمان، ١٣٨٦هـ.

الطبرسيّ، الفضل:

٣٨. تفسير جوامع الجامع، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، قمّ، ١٤٢١هـ.

٣٩. تفسير مجمع البيان، ط١، بيروت، مؤسّسة الأعلميّ، (لا، ت).

الطبراني، سليمان:

٤٠. المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، (لا، م)، دار إحياء التراث العربي، (لا، ت).

الطريحيّ، فخر الدين:

٤١. مجمع البحرين، تحقيق أحمد الحسيني، ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ١٤٠٣هـ.

-ف-

الفتّال النيسابوري، محمّد:

٤٢. روضة الواعظين، (لا، ط)، قمّ، الشريف الرضيّ، (لا، ت).

-ق-

القمّي، عبّاس:

٤٣. منازل الآخرة، تحقيق ياسين الموسوي، ط١، قمّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٤١٩.

القمّي، عليّ:

٤٤. تفسير القمّي، تحقيق طيّب الموسوي الجزائري، (لا، ط)، النجف، مطبعة النجف، ١٣٨٧هـ.

القمّي، محمّد تقيّ:

٤٥. القوانين، (لا، ط)، (لا، م)، (لا، ن)، (لا، ت).

-ك-

الكوفي، فرات:

٤٦. تفسير فرات الكوفي، ط١، طهران، مؤسّسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٠هـ.

الكراجكيّ، أبو الفتح:

٤٧. معدن الجواهر، تحقيق أحمد الحسيني، ط٢، قمّ، (لا،ن).

الكلينيّ، محمّد:

٤٨. الكافي، تحقيق عليّ أكبر الغفاريّ، ط٤، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٦٥هـ.

-م-

المفيد، محمّد:

٤٩. الإرشاد، تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ.

٥٠. أوائل المقالات، تحقيق إبراهيم الأنصاريّ، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ.

٥١. الاختصاص، تحقيق علي أكبر الغفاري ومحمود الزرندي، ط٢، بيروت، دار المفيد، (لا، ت).

٥٢. المقنعة، تحقيق ونشر مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ط٢، قمّ، ١٤١٠هـ.

٥٣. المسائل العكبرية، تحقيق علي أكبر الإلهي الخرساني، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ.

٥٤. تصحيح اعتقادات الإماميّة، تحقيق حسين دركاهي، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ.

مغنيّة، محمّد:

٥٥. التفسير الكاشف، ط٣، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١هـ.

المصطفوي، حسن:

٥٦. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ط١، (لا، م)، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٧هـ.

المطهّري، مرتضى:

٥٧. معرفة القرآن، ترجمة الخليلي، (لا، ط)، بيروت، دار التعارف، (لا، ت).

المجلسيّ، محمّد باقر:

٥٨. بحار الأنوار، تصحيح محمّد مهدي الخرساني، (لا، ط)، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٩٦هـ.

المشهديّ، محمّد رضا:

٥٩. كنز الدقائق، تحقيق حسين دركاهي، ط١، (لا، م)، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، ١٤٠٧هـ.

-ن-

النعمانيّ، ابن أبي زينب:

٦٠. الغيبة، تحقيق فارس حسون كريم، ط١، قمّ، أنوار الهدى، ١٤٢٢هـ.

-و-

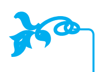
الواسطيّ، عليّ:

٦١. عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين الحسيني البيرجندي، ط١، (لا، م)، دار الحديث، (لا، ت).

٦٢. Fox, Tony, Essex Journal (2003) Essex Anch and History, page 12 - 16.

٦٣. Levie, R; The electrolysis of water, Journal of electroamalytical chemistry 476, october 1999, page 92 - 93.

الفهرس



صدر للمؤلف

١- حقيقة الجفر عند الشيعة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢- حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. حائز على جائزة أفضل كتاب لعام ٢٠٠٣م، في مهرجان الولاية الدوليّ في إيران.

٣- ولاية الفقيه، بين البداهة والاختلاف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. رسالة ماجستير حازت على درجة ممتاز، مع التنويه والتوصية بالنشر.

٤- دروس في علم الدراية، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. معتمد في المناهج الدراسية الحوزويّة.

٥- وليالٍ عشر (من وحي عاشوراء)، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٦- برقية الحسين عليه السلام، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة:

The Telegram of Hussein (pbuh).

Le Télégramme d’Al-Houssein (Qu’Allah le salue).

٧- وأتممناها بعشر (من وحي عاشوراء)، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٨- المسائل المصطفاة في أحكام الطهارة والصلاة فوز دو ايغواسو.

٩- أحكام النساء. فوز دو ايغواسو.

١٠- التبليغ من وحي التجربة، قمّ.

١١- Paulo em busca da verdade («باولو» الباحث عن الحقيقة - باللغة البرتغالية).

١٢- «Assalat» A ORACAO NO ISLAM (الصلاة في الإسلام باللغة البرتغالية).

١٣- مختصر الواجبات في الإسلام (UM RESUMO DOS DEVERES NO ISLAM)

١٤- خيوط القبعة، بيروت، دار الصفوة.

١٥- حائك القبعة (الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين)، بيروت، دار الصفوة.

١٦- التكفير، ضوابط الإسلام وتطبيقات المسلمين، دار الأمير للثقافة والعلوم.

١٧- قافلة البشرية، من سفينة نوح إلى دولة المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٨- هذا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٩- محاضرات في الثقافة الإسلامية بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مجموعة يسألونك، وتضم:

٢٠- يسألونك عن اللّه، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة:

They ask you about Allah.

Ils t’interrogent à propos Allah.

٢١- يسألونك عن الأنبياء عليهم السلام، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية:

They ask you about prophets

Ils t’interrogent sur les prophetes

٢٢- يسألونك عن الأئمة عليهم السلام، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية:

They ask you about Imams.

ils t’interrogent sur les imams

٢٣- يسألونك عن الوليّ، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٤- يسألونك عن التقليد، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة (مركز نون للتأليف والترجمة):

They ask you about Imitation.

Il t’interrogent sue le Taqlid.

٢٥- يسألونك عن القبر، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية:

They ask you about Death & the Barrier (The Call for Departure)

٢٦- يسألونك عن القيامة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

(بين يدي القارىء).

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية:

They Ask You about Resurrection

Ils t’interrogent sur la resurrection

مجموعة تعارفوا، وتضم:

٢٧- دليل العروسين بين الخطوبة والزفاف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية:

Bride & Bridegroom Manual From Engagement to Marriage

٢٨- سعادة الزوجين في ثلاث كلمات، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٩- ٣ حقوق لحياة زوجيّة ناجحة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٠- كيف تجعل ولدك صالحًا؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣١- كيف نتواصل مع الناس؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٢- كيف نبني مجتمعًا أرقى؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٣- آية الوصايا العشر، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مجموعة يزكّيهم، وتضم:

٣٤- ميزان السير والسلوك، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٥- برنامج السير والسلوك، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٦- هكذا تكون سعيدًا، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية: Finding Happiness.

٣٧- كيف ترجع كما ولدتك أمك؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٨- شهر الله آدابه - مناسباته - أولياؤه، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٩- لا تَقرَبُوا، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٤٠- كيف نتواصل مع الله، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

يمكنك تصفح جميع هذه الكتب وغيرها

على موقع سراج القائم عجّل الله فرجه الشريف

www.sirajalqaem.com